

عمل وجودي غريب يرصد محاولات البطل ادراك الهدف وبلوغ السبب القابع وراء وجود البشر.

مجلة صدى الفنون والفلسفة

معتز عرفان

فجر مانيلا

دار عرفان للنشر

رواية فجر مانيلا

معتز عرفان

رواية وجودية

فجر مانيلا

دار عرفان للنشر

يتضمن العمل حالة من السردية العشوائية ويتنقل بين التأملات، حيث تتحدث الشخصية الرئيسية عن مانيلا والبيئة التي تخصها بينما تجلس بالشرفة، كما أنه من الضروري التنويه إلى حقيقة أن الشخصية الرئيسية تتمثل في الصحفي ذو الفقار الذي سافر إلى مانيلا (عاصمة الفلبين) بهدف تغطية بعض الأحداث المهمة هناك.

العمل لا يخص الكاتب، ويتعلق بالخيال، كما أن الأفكار المعروضة لا تعبر عن رأيه بأي شكل من الأشكال، ولا تمت إلى دار النشر الإلكترونية (دار عرفان للنشر).

الجزء الأول

أتأمل مشهد الغروب أمامي، إنه مشهد خلاب للغاية، الجبل، المحيط، البنايات الشاهقة، وها أنا أجلس على ارتفاع بالغ، إنني أجلس بالدور الأربعين أتأمل مشهدا خلابا وأحاول أن أنهي عصير الأناناس الذي يعد رخيصا في هذه البلاد وموجودا في كل مكان.

جوز الهند متوافر أيضا بشكل كبير، الجويوبانو، اللايتشي، الدراجون فروت، وغيرها من الفواكه الاستوائية، كما أن الموز موجود بوفرة وبأشكال كثيرة، إنهم يأكلون الموز على هيئة شيبسي، تخيل، نعم، يحبونه بشدة، ويلتهمونه بأشكال عديدة وألوان كثيرة وضمن مأكولات لا تحصي.

كما أنهم يشربون الشاي باللبن المثلج في أعداد كبيرة، ويضعون به ما يعرف باسم البوبا، ولا يحبون القهوة العادية، يحبون القهوة الثلاثة في واحد، ويشربون الشاي الساخن قليلا جدا، وعلب الشاي بالسوبرماركت قليلة وأكثرها غال ومستورد، كما أن أكثر علب القهوة لا تخص القهوة الفورية، أما الشاي باللبن المثلج بالونترملون، فإنه في كل مكان.

الملابس قصيرة، الجو حار، الرطوبة عالية، النساء نشطات ودودات، الرجال مبتسمون، الكل يرحب بك، الترحيب أمر مهم عندهم وعندهن، والحديث طويل بكل تأكيد، كما أن الترانس والجايز منتشرون بشكل واضح، وحمامات الجنس العام موجودة في أكثر من مكان.

وبالعودة إلى الطعام، فإنهم محبون للطعام، كما أن لديهم الكثير من المطاعم اليابانية والكورية والصينية والتايلاندية، جنبا إلى جنب مع مطاعمهم الخاصة، ويوجد أيضا مطاعم تايوانية وإندونيسية وماليزية، تشعر وكأن القارة الآسيوية مجتمعة هناك، وكأن الآسيويين يرحبون ببعضهم البعض بشكل موسع ودون استثناء.

المنتجات كثيرة للغاية، هناك حالة من الاستيراد من أميركا وأوروبا وأستراليا وبقية دول آسيا بشكل واضح، هناك حالة غير عادية من التنوع، وأسعار كل شيء مرتفعة بشكل واضح، ورغم ذلك هناك ارتفاع في المرتبات بين الحين والآخر بشكل جلي، إلا أن المواصلات مكلفة والطعام وكل شيء، وهو ما يحتاج مجهودا كبيرا من أجل توفيره ومن أجل توفير الاحتياجات الأساسية بشكل عام.

الطبيعة الخلابة تمنح الدولة شكلا نظيفا جميلا في معظم الأماكن، كما أن كثرة البنايات العالية تمنح المنظر رونقا جذابا، وهناك أماكن نظيفة وأخري غير نظيفة كما هو الحال مع كل البلدان، لكن الطبيعة الخلابة تضفي لمسات مميزة إلى كل شيء في حقيقة الأمر.

هناك أماكن للأغنياء، وأخري للبسطاء، وهناك منطقة مكاتي الشهيرة الخاصة بالأغنياء والأعمال ومنطقة BGC، وغيرها من المناطق، كما أن مترو مانيلا يضم عددا من المدن جنبا إلى جنب، وهناك مقاطعات عديدة، إلا أن المرور صعب، وإذا توقف الطريق، صار الأمر مأزقا وطالت مدة الانتظار.

أتذكر يومي الأول في مانيلا، أتذكر أنني قد وصلت في الفجر، وكان المطار مزدحما، وكانت النساء كثيرات، وكان الموظفون يرحبون بالجميع دون استثناء، ولو أن هناك شيئا قد لفت انتباهي في هذه المدينة، فإنه حتما يتمثل في الرحابة التي يتمتع بها السكان، إنهم يرحبون بالجميع ويرحبون ببعضهم البعض بشكل متواصل وكثيرا ما يقولون بو أو حضرتك، وكثيرا ما يبتسمون رغم الصعوبات الحياتية ورغم الكفاح، فالأمر ثقافة قبل كل شيء.

-٢-

أنزل إلى منطقة حمام السباحة، فتيان يسبحون وفتيات يسبحن، أنضم إلى الجمع ثم أخرج وأجلس إلى جانب الحمام مستلقيا على الشيزلونج بينما أمسك بكتاب عن الحضارات الآسيوية وأتنقل بين الصفحات في عجالة كما هي عادتي في حقيقة الأمر.

إن المشهد العام خلاب، إنه مشهد شاعري ساحر قادر علي منحي الدفء الذي أرغب، كما أنه يقدم إلى بيئة طيبة مفعمة بالرحابة والسلام النفسي قبل كل شيء، وهو ما يجب علينا أن نطلبه في هذا الزمان، نعم، السلام النفسي يمثل كل شيء مهم في هذا العالم المفعم بالضجيج.

تقدم فتاة فلبينية إلى عصير الأناناس في كوب شفاف، أشرب مستمتعا بالثلج والطعم الرائع، إنه ديلمونتي حتما، طعم رائع مستساغ، انتعاش هائل يضرب وجهي، حالة من الشاعرية تجتاح كياني، بينما أمسك بكتابي، يا للروعة، إنه الإنسان الطيب الساذج، ذلك الكائن الذي يحاول أن يستجلب أحوال السكينة بأي شكل من الأشكال، يا للمسكين، يا للغلبان، إنه كائن يعيش معتقدا بأن الاستقرار موجود، رغم أن الاستقرار لا يمكن أن يوجد في عالم يغيب عنه الخلود.

إن هذه الفتاة تشبه الفتاة التي قدمت إلى المساج حينما كنت في كاباناتوان، كما أنني أشعر بأن بها لمسة تتصل بزوجتي التي تركتها في مصر، إنني أتذكر زوجتي العزيزة وأتذكر ابنتي أيضا، ولكن إتمام المهمة يعطلني عن استدعاء النوستالجيا والعواطف

الجياشة، ورغم ذلك من الضروري للمرء أن ينعم بعواطفه الدافئة بين الحين والآخر دون أن تمثل عبئا عليه.

أصعد إلى الشقة، أستعد من أجل الحدث المسائي الذي سيتم تغطيته في متحف الفنون بمانيلا ومتحف الأنثروبولوجي أيضا، أرتدي بدلة شيك، أمشط شعري، أهندم ملبسي، أستخدم ليسترين من أجل الفم، ليسترين بالزنجبيل لأننا في بلاد الزنجبيل، أشرب بعض الماء، وأنزل من أجل الحدث الكبير.

إنه واحد من الأحداث التي من الضروري أن أغطيها وأجمعها في شريط كبير كي تصبح موادا تستخدم عند عودتي إلى القاهرة، كي تصبح موادا يسهل التعامل معها من قبل المؤسسة الصحفية التي أعمل بها.

إنها مؤسسة بخيلة للغاية ومديرها أحمق من زمن فائت وإمكانياتها هشة، ورغم ذلك فإنني أعمل من أجل المتعة وشغل الفراغ قبل أن أرحل من هذا العالم إلى عالم الجمال، لكن الجمال موجود هنا أيضا، ويمكن استشعاره بين الحين والآخر، يمكن الإحساس به بين الفينة والأخرى حينما نتأمل الطبيعة والصفاء وكل ما يثلج الصدور ويمنح المرء الانسجام.

الانسجام مطلب الجميع، الانسجام أمر نرغبه جميعا، ولكن كم مرة يبلغه الإنسان حقا في حياته؟ وهل يشعر به كليا حينما يبلغه؟ وهل يعد السمفونية المفقودة؟ وهل يمكن الوصول إليه أكثر من مرة؟

نعم، الأمر ممكن، لكنه في حاجة إلي المثابرة أيضا، فمن الممكن أن نبلغ ما نريد، لكن البلوغ في حاجة إلي المثابرة، وهو ما لا يمكن إنكاره، ولا يمكن التخلص منه أو مهاجمته، فكل شيء في هذا الوجود في حاجة إلي المثابرة، اللذة تحتاج المثابرة والمجهود، والكفاح يحتاج المجهود والمثابرة، كل شيء، حرفيا، كل شيء، الخير، والشر، الفضيلة، والرزيلة، ولذلك طوبي لمن وظفوا المجهود في الطريق الصحيح، طوبي لمن عرفوا بعض أجزاء الحقيقة ووضعوا المتعة في مقامها، فلم ينحرفوا عن الطريق ولم يبيعوا أنفسهم من أجل بعض المال، كما يفعل الكثيرون.

تم الاستعداد، إنني جاهز من أجل الحدث الهائل، أتمنى أن أحصل على كل اللقطات والكلمات والرسومات التي تمكني من الوصول إلى ما أحتاجه حقا من أجل تأسيس كادرات ممتازة.

-٣-

مطعم جولي بي الهائل، دجاج مقرمش ممتاز، نكهة مميزة، شاي مثلج، قطعة من الدجاج الحار بداخل خبز بريوش شهي، الكاتشب، البطاطس، الحلوي، لقد صارت بطني مفعمة بالكثير من الطعام الذي يحتاج إلى الهضم بشكل جيد بكل تأكيد.

كنت أتناول الطعام مع صحفية فلبينية شاركتني الحدث ولازمتني معظم الوقت أثناء تغطيته، وقد كانت تتحدث بكثرة عن الكثير من التفاصيل التي تخص مانيلا، كانت تتحدث دون توقف، وقد أكلت قطعة واحدة من الدجاج، وهو ما يناسبها وفقا لثقافتها، فالبروتين عند الشعب الفلبيني قليل.

شربنا بعد ذلك الشاي باللبن المثلج بالبوبا من كوكو، وتناولنا التورون، وبينما كنت أرشف بعض الرشفات من كوب الشاي المثلج، جاءني دمع فغيضته، تذكرت الكثير من اللحظات الجميلة التي زخرت بها حياتي في الماضي، ورغبت لو أنها قد تكررت، لكن تكرار الأمر لا يضمن اللذة نفسها، لأن الدواخل قد تغيرت، والتكيف قد حل، والفضول قد قل.

كنت مترعا باللذة في صغري، ورغم أنها ما زالت تلاعبني، إلا إنني أشتاق إلى اللذة الأولي، تلك اللذة التي لم تعرف إرضاء الفضول قط، تلك اللذة التي سبقت التكيف، نعم، أنتم علي علم بها، اللذة التي كنتم ترغبونها، وعندما بلغت، صارت مستساغة، صارت هائلة لكنها

مألوفة، حتى ولو تغيرت العناصر المشاركة فيها، لأن المخ قد عرفها وفهمها ووظفها جيدا.

لم تلتفت الفتاة إلى حالة الشرود الذهني التي سيطرت علي، كانت منشغلة بالمشروب خاصتها، كانت تشربه بشراهة كبيرة بوضوح تام، يبدو أن اللذة الكيميائية قد سيطرت على ذهنها جنبا إلى جنب مع السكر المرتفع، فحدث ما يشبه النشوة.

إن السكر المرتفع محبب إلى الجميع، إنه يجعلهم في حالة من النشوة، حالة من النشوة قد تعقبها حالة من الهبوط والقرف، وهو أمر معتاد عند الكثيرين، فالمتعة تتبع ببعض القرف، وهو أمر كيميائي صرف في الكثير من الأحيان في حقيقة الأمر.

كانت ترتدي قميصا يكشف عن الشق بين نهديها بشكل واضح، وكانت جميلة في حقيقة الأمر، لكن كثرة كلماتها أرهقت ذهني، رغم أن ذهني معتاد على الكلمات الكثيرة والقراءة والكتابة والتنقل بين الكلمات، لكنني شعرت بأن كلماتها كانت تحمل نوعا من العبث بداخلها، ورغم أنني أحب أن أجاري العبث، إلا إن العبث الذي أحب مجاراته يختلف عن هذا النوع من العبث، ولهذا كنت أفصل في الكثير من الأحيان، ولا أنصت في إمعان، وأعمد إلى المجاراة الشكلية أكثر من المجاراة الفعلية.

كان شعرها جميلا وكانت تنظر إلى بهيئتها البهية فتسرب القشعريرة إلى أنحائي، وقد حدثتني عن مانيلا ومترو مانيلا ومكاتي وباجيو وغيرها من الأماكن، وقد حدثتني عن الجزر أيضا، وقد أنصت إليها بصورة واضحة حينما تحدثت عن المعالم

الأثرية والمتاحف والثقافة المحلية وغيرها من العناصر التي همني أمرها.

كانت تتنقل بين الموضوعات في عجالة، وكنت أنصت إلى أفكاري أحيانا وإلى أفكارها أحيانا أخري، ولا يمكنني أن أنكر جاذبية أفكارها التي داهمتني في بعض اللحظات ولاعبت مخيلتي، لكن العقل البشري معقد للغاية ولا يركز كما نعتقد، فمن المعروف أن العقل الواعي يمثل جزءا بسيطا مقارنة بالعقل اللاواعي والعقل الباطن، وهو ما يؤشر إلى الكثير من الحقائق الهامة التي من الضروري أن نضعها في الحسبان في حقيقة الأمر، نعم، من الضروري أن نضعها في الحسبان وأن نضعها نصب أعيننا علها لا تتعرض للفقدان أو الإهمال مع الوقت.

غادرنا المكان، وعدت إلى الشقة، بينما عادت هي إلى شقتها، على أن نلتقي مجددا خلال الشهر حينما يحين موعد الحدث الجديد.

-٤-

في المساء، جلست أتأمل المشهد العام، الأضواء في كل مكان، البنايات الشاهقة تشع نورا هائلا، المدينة صاخبة، ورغم ذلك كان الهدوء يحل في بعض اللحظات، وهو ما كنت أنظر إليه على أنه الفاصل المرغوب والحاجز المطلوب.

أشرب بعض الشاي المثلج، الحرارة مرتفعة، الرطوبة عالية، أستمتع بالشاي بالليمون، إن طعمه جيد فعلا، إنه رائع ومذهل، أكل بعض الفواكه الاستوائية، البوميلو الممتاز، والأناناس صاحب الأنواع العديدة، الأمر مذهل، لكن موعد النوم قد حل.

أسرع إلي السرير، أضع رأسي علي المخدة، أتذكر أحداث اليوم، أتذكر بعض مشاهد الماضي، أتذكر الأحاديث التي دارت واللحظات التي مرت ولم تعد، أتذكر كل ما يمكن تذكره، كما أن بعض الكلمات تتلاعب بذهني، أفسر بعضها وأعجز عن تفسير البعض الآخر، أفسر بعض مقاصد الناس وأتجاهل مقاصد أخري، أحاول أن أصل بذهني إلي حالة من الاستقرار، حالة من الاستقرار لا تدرك، تلك الحالة التي نحاول جميعا أن نصل إليها، وإذا بلغناها، اضطربنا، وبدأنا من جديد، وكأنها حلقة مفرغة لا مهرب منها، وكأنها حلقة لا تعرف نهاية، نعم، حلقة خلقنا من أجل أن نعيشها مرارا وتكرارا، خلقنا من أجل أن نعيشها دون توقف، ورغم ذلك، هناك لذة تكمن بين أبعادها، وهو ما يمكن إدراكه بين الحين والآخر.

إن الاستقرار الذهني يعد مطلب الجماهير الغفيرة، نعم، الكل يسعي وراء الاستقرار الذهني، الكل يحاول أن يصل إلي حالة من الرضوخ

الفكري المريح، تلك الحالة التي لا تمثل الكسل لكنها تمثل الاستقرار النفسي، وعندما أتحدث عن الاستقرار النفسي، فإنني أتحدث عن السكينة التي تخلو من التفكير في الرغبات، بمعني أن الرغبات تكون حينها قد هدأت، ولكن ما نجهله جميعا، يتمثل في حقيقة أن الرغبات لا يمكن أن ترضي بالشكل الكامل، لأن الإرضاء التام يعني الملل، والملل عدو الإنسان الأول، ولذلك ستجد الإنسان يبحث عن رغبات جديدة باستمرار، حتي ولو تسببت في الاضطراب، لكنه في الوقت عينه يرغب في الاستقرار، وبهذا الصورة تصبح حياته أشبه بالبندول المتأرجح بين اتجاهين متناقضين، إلا أن هناك لذة عندما يتعلق الأمر بهذه البيئة، وهذه اللذة هي منبع الحياة، منبع السعي، منبع التقدم إلي الأمام بشكل ما.

إن البشر في حاجة إلي ما يدفعهم إلي الأمام، والرغبات تمثل هذا الدافع، لكنها ثقيلة وتمثل عبئا بشكل ما، ورغم ذلك هناك لذة تصاحبها، نعم، هناك لذة للعبء، وهو ما يعني أن المشاعر البشرية متضاربة ومتماشية في الوقت عينه، بمعني أنه من الممكن أن نعيش شعورين في نفس الوقت، حتي ولو كان هناك تعارض، فالأمر أشبه بالأب الذي يزوج ابنته، حيث يكون سعيدا وحزينا في الوقت عينه، لكنه مجبر علي أن يسلك ذلك الطريق، ولا مفر من مسايرة البيئة ومتابعة المسيرة واتباع العادات والتقاليد والأمور المألوفة، فنحن مجبرون علي استكمال الطريق، وعلينا أن نعبر الجسر، وعلينا أن نعيش التجربة، نعم، علينا أن نعيش مقياس العواطف بأكمله، العواطف بتقلباتها وصراعاتها، فالعواطف تمثل التقلبات الداخلية المتأثرة بالمؤثرات الخارجية، ورغم ذلك قد تثور دون مؤثر خارجي، وهو ما يعني أن غياب القاعدة فيما يخص الأمر بمثابة الأساس الذي لا ينكر، فالعواطف تحركنا والأفكار تحركنا أيضا، وقد تسبق

العواطف الأُفكار، وقد تسبق الأفكار العواطف، لكن العواطف تؤثر فينا بشكل كبير للغاية، وقد تجعلنا نقع فيما لا يجب الوقوع فيه، وقد تجعلنا نقدم علي أفعال نستنكرها لاحقا، وقد تمثل المأزق في أحيان كثيرة، ولذلك من الضروري الحذر عندما نتعامل مع عواطفنا في حقيقة الأمر.

أشرب بعض الماء، أتقلب علي السرير، النوم لا يزورني، أفتح التلفاز، فيلم فلبيني لكايلي فيرزوسا، تلك الموديل الجميلة التي لا تجيد التمثيل، لكنه الحال في هذه الأيام، فالجميلات يظهرن علي الشاشة حتي ولو كان هناك افتقار للموهبة، فالخدعة البصرية سيدة الموقف والجذب في الكثير من الأحيان، والاهتمام بالمحتوي صار ضربا من الأوهام والخيالات التي التهمها الماضي، الماضي السحيق، ولكن عندما نتأمل الألوان والملابس والحركة والإثارة، نصبح قادرين علي المتابعة بشكل ما، وتصبح هناك رغبة لمتابعة العمل، بأي شكل من الأشكال.

الأمر الخاص بحيواتنا قد يكون شبيها بذلك في حقيقة الأمر، فالكثير من المشاهد الرئيسية في حيواتنا لا تتصل بالمحتوي، لكنها تتصل بالهيئة الخارجية والشكل، وكأننا نعد الصورة من أجل القبول الاجتماعي، لا أكثر ولا أقل، وكأننا نضحي بأنفسنا من أجل صورة تلتقط وتنسي في نهاية المطاف، لكن من الضروري بالنسبة لنا أن يتم التقاطها، وعندما تلتقط نحس بنوع من الارتياح النفسي، لكننا بعد ذلك ننظر إلى الأمر، ونتساءل، هل استحق الأمر كل هذا العناء من أجل صورة؟ هل استحق الأمر كل هذه التقلبات من أجل صورة تعلق وتنسي بعد ذلك؟

إن الإنسان يتحرك محاولا أن يرسم صورة معينة ليقدمها إلى المجتمع، حتى ولو كلفته هذه الصورة الكثير، حتى ولو أرهقته هذه الصورة، لكن من الضروري بالنسبة إليه أن ترسم، نعم، من الضروري بالنسبة إليه أن ترسم، والأمر مطبق على كياني بكل تأكيد، فها أنا أحاول أن أرسم صورة، أحاول أن أرسم صورتي التي من الضروري أن أقدمها إلى المجتمع معتمدا على عملي الصحافي، ولكن لماذا أطلب الصلاحية من الآخرين؟

فمن الضروري للإنسان أن يطلب الصلاحية من نفسه قبل أن يطلبها من الآخرين، و لا يعد الأمر انفصالا عن المجتمع أو الواقع في حقيقة الأمر، لا يعد انفصالا بأي شكل من الأشكال، نعم، من الضروري للمرء ألا ينسي المجتمع لأنه يمثل موضع حركته، لكن من الضروري أيضا ألا يصب كل تركيزه عليه، فمن الضروري ألا ينسي المرء نفسه من أجل مجتمع قد يمثل وهما في نهاية المطاف، نعم، قد يمثل وهما في نهاية المطاف.

لطالما أشفقت على الناس، لأنهم مجبورون على تقديم الصورة اللائقة طوال الوقت، وقد يصاب كل منهم بالاكتئاب والحزن إذا سيطر الفشل على المسيرة، نعم، قد تسيطر عليهم الحيرة إذا عجزوا عن بلوغ الأهداف الكثيرة التي رسمها لهم المجتمع، المجتمع الوهمي، المجتمع الذي ترسمه العائلة وتزرعه في رأس الأبناء، المجتمع الذي ترسمه المدرسة وتصبه في العقول صبا، رغم أن الحقيقة قد تكون مغايرة بشكل كلي، قد تكون النقيض، النقيض المتخفي الذي يحتاج البحث والمثابرة، ولو أنني قد خضعت للمجتمع علي طول الطريق، لعجزت عن الوصول إلي الكثير من محطات السعادة، محطات السعادة التي كانت في الاتجاه الآخر، تلك

المحطات التي وصلت إليها بعد أن كان من الممكن أن أفوتها دون قصد مني، لكن لحسن الحظ تمكنت من بلوغها والاستمتاع بها والتلذذ بملامحها والحصول علي كل ما يمكن الحصول عليه منها، ولكن هل وصلت للإرضاء؟ هل بلغت المطلوب؟ هل حققت كل ما تمنيت؟ هل تمكنت من إرضاء أحلامي وأهدافي وكل ما يمكن أن يبلغ؟

لا أعرف حقا، لكن ما أعرفه يتمثل في سهولة إدراكي للرضا، نعم، فقد كنت أرضي بسهولة، رغم أن الكثيرين قد عرفوني بكوني متمردا، لكن التمرد لا يناقض الرضا في حقيقة الأمر، كما أن التمرد ذو أشكال عديدة، وهناك درجات منه، وهناك أنواع أقل من أنواع، وهناك أنواع مقبولة من قبل المجتمع ويرفضها الدين، وهناك أنواع مقبولة من قبل الدين ولا يطبقها المجتمع، لا أعرف في حقيقة الأمر النوع الحقيقي الخاص بتمردي، لكن ما أعرفه يتمثل في حقيقة أنني لم أكن مسالما ولم يكن من السهل إخضاعي من قبل العقول، إلا إنني كنت خاضعا للقواعد الدينية، حتي ولو انتهكت في بعض الأحيان، نعم، كنت خاضعا حينما كان يتعلق الأمر بالدين.

النوم لا يرغب في زيارتي، أحاول مجددا، أتقلب دون توقف، النوم لا يرغب في زيارتي، اللعنة، أتقلب، أشرب بعض الماء، أتقلب، أحرك قدمي، أحرك رأسي، أعدل مخدتي، أعدل مرتبتي، أحاول أن أنام، أرغب في النوم، لكني عاجز عن بلوغه، الأرق قد هيمن على والنوم قد هرب مني، وصرت أسيرا لسجن الاستيقاظ الإجباري، صرت أسيرا لسجن الوعي الجبري، رغم أنني أحاول أن أفلت منه، وأسعى نحو الفرار من بين يديه، أسعي نحو القضاء علي كل السبل التي تفضي إليه، نعم، أسعي نحو الحصول علي قيلولة، قيلولة تأخذني بعيدا عن

متاهات الوعي، تلك المتاهات التي لا نهاية لها، تلك المتاهات التي لا تعرف حدودا، ولا ترغب في مفارقة ذهني، ذهني الذي أرهقته الأفكار حتي نالت منه، نعم، لقد نالت الأفكار من ذهني، لكننا نعلم أن الأفكار تداهم الجميع وتخضعهم وتجعلهم أسري لها، فكل العقول خاضعة لسوط الأفكار، وإذا كانت هذه الأفكار سامة صعبة، صار الأمر مرهقا منهكا مضنيا متعبا، وهو ما لا يمكن إنكاره، كما أنني علي يقين بأنك تدرك مقصدي عزيزي القارئ الفطن، لأنك قد عشت ما أتحدث عنه في يوم من الأيام، عشته كما عاشه كل إنسان علي مدار الزمان.

إننا نتحسس دروبنا باحثين عن النور لينبثق المعني، نعم، نحاول أن نخلق المعني بأي شكل من الأشكال، ولو عجزنا عن بلوغ المعني، صرنا أسري للإحباط والإرهاق الذهني، والإرهاق الذهني صعب للغاية حينما نقارنه بالإرهاق الجسدي، فالإرهاق الجسدي أرحم بكثير من الإرهاق الذهني، نعم، من الممكن للإرهاق الذهني أن يصل بالإنسان إلي هلوسات ووساوس واضطرابات وصراعات، ولذلك من الضروري للمرء أن يرحم ذهنه وأن يعلم أننا لا نحتاج كل ما نرغب فيه، كما أننا لو بلغنا كل ما رغبنا فيه، لأصبنا بالملل والإحباط، فمن الضروري أن تكون هناك غاية نطاردها، ونسعي نحو مطاردتها باستمرار حتي ولو لم نبلغها، فبلوغ الشيء يقتله في أعيننا، ويجعله مستساغا، ولذلك من الضروري للمرء أن يدرك أن الغايات لم تصنع لتبلغ بشكل دائم لكنها صنعت كي نبلغ البعض وكي نتحرك بواسطة البعض الآخر، وهو ما يعد أمرا منطقيا في حقيقة الأمر، ولذلك تكفينا الحركة، نعم، تكفينا حقيقة أن الغايات تحركنا، تكفينا تلك الدائرة التي نتحرك فيها محاولين الوصول إلي شيء ما، وربما تمثل الصحبة أفضل شيء في نهاية المطاف، تلك الصحبة

الطيبة التي نسعي نحو بلوغها، تلك الصحبة الطيبة التي يرجوها الجميع، كما أنها تمثل النعمة الكبرى، تلك النعمة التي يحسها من عاشها حقا، تلك النعمة التي حسها من أنعم عليه بها، ورغم ذلك من الممكن للمرء أن يكون صحبة طيبة، خاصة إذا كان طيبا، وهو ما يمكن استشعاره ذاتيا، فالمرء يعرف الكثير عن نفسه ويجهل الكثير عنها أيضا.

أستمر في التقلب، حل النوم، زارني، أقفز إلى جزيرة النوم، وأنسي كل شيء، أنتقل إلى عالم الأحلام والجمال، وأستعد من أجل تغطية الحدث الجديد، حيث أنه يزورني في أحلامي، قبل أن يتحول إلى واقع ملموس محسوس من قبلي ومن قبل الجميع.

-٥-

خبطات على بابي، إنها الصحفية الفلبينية، الصديقة ماريكار، تدخل الشقة مرتدية جونلة قصيرة، وتوب يكشف عن نهديها بشكل واضح، أرحب بها وأقدم إليها مشروب البوميلو، تشكرني، تضع فخذها أعلي الفخذ الآخر بشكل متشابك، تنزل باتجاهي لتحدث هزتين بكرتين على المنضدة، أقترب منها وأخبرها بأن الحدث الجديد سيكون رائعا، وأوضح لها أن المكان يتمثل في فندق عتيق أعلي جبل من جبال باجيو، وأن المسافة طويلة لكنها تستحق العناء.

تخبرني بأنها ترغب في الاستحمام قبل المغادرة لأنها كانت بالخارج طوال الوقت ولم تعد إلى شقتها بعد، أسمح لها بدخول الحمام، وأتعجب من عدم كسوفها، حيث أنها تتخلص من ملابسها، القطعة تلو الأخرى دون أي حرج، تلج الحمام، تخرج ملفوفة بفوطتي البيضاء، وتجلس عند طرف السرير كاشفة عن ثغر متبسم وعينين لعوبتين، فأبتسم لها وأقترب منها.

إنها one-night stand على ما يبدو، إنها أمر قبيح قذر بشكل واضح، إنها حالة من البهيمية في قمتها، حيث تتسلل الغرائز إلي الطاولة، ونبدأ في النطاح بشكل جاسم، وتظهر الكثير من المنحنيات بينما تغمض الأعين بتأثير حسي ساحر وتتلاعب الأوهام بالعقول وتتوالي الخبطات بشكل غريب، وأحس بطاقتي تسحب مني، بينما تظهر الفتاة حالة من الاستجابة التامة والخضوع الكامل، وها هي ترتدي رداء خاصا ذا ألوان عديدة لا أعرف من أين جاءت به، وتقف أمام لتنحني وتصفني بالسيد الكبير، السيد الذي لا يمكن مجابهته ولا يمكن الوقوف أمامه، مركز الأرض، عربيد الصحراء،

ملك البلاد، الرجل صاحب العنفوان، الشامخ الطويل الكبير، إنه الغرور البشري حتما بينما يتحرك منساقا وراء بعض الدفعات الكيميائية، تلك الدفعات التي ينتهي تأثيرها بعد لحظات قليلة للغاية، وها أنا أعود إلي الواقع، فأجد الفتاة عارية متعجبة مما حدث، بينما ينال العجب مني أيضا، وأخبرها بأن ترتدي ملبسها وتستعد لنتناول الأجنحة الحارة والدجاج المميز بمطعم فرانكيز قبل الرحيل إلي باجيو بواسطة الحافلة.

الجزء الثاني

كانت الحافلة تجري بنا، كانت مسرعة للغاية، وكانت الطرق فوق الجبال، وقد نال مني الخوف في الكثير من اللحظات، وكنا نهرع بالحافلة بين السحاب، نعم، كنت قادرا علي الإمساك بالسحاب، كنت قادرا علي رؤيته بعيني، وكان الضباب يخيم، وكان المطر يلاعبنا بين الحين والآخر، وكانت ماريكار ممسكة بيدي محاولة أن تبث النبضات في القلوب، نعم، تلك المحاولات الأولية لمن يرغبون في تبادل العشق، لكن العشق محرم في هذه الحالة، ورغم ذلك قد تكون المرة المحرمة التي جمعتنا سببا في انبثاق الحب من جوارحنا، إلا أن زوجتي في الانتظار، وها أنا أمام حالة واضحة من الخيانة، حالة أعيشها بنفسي، حالة أمثلها رغم كونها ضد مبادئي وأفكاري، اللعنة!

وصلنا إلي الفندق العتيق، كان مميزا أعلي الجبل، كان مفعما بالكثير من الغرفات، وكانت هناك قاعة صغيرة مميزة للإفطار، كما أن أناسا من باكستان كانوا موجودين هناك، وكان هناك آخرون من تايلاند والصين، وقد شعرت بعبق المكان وروعة التأثير الجبلي وجمال الطبيعة المميزة الخضراء، وقد حصلنا علي غرفة واحدة، وكنا نتشارك السرير كثيرا كمجنونين، إلا أن الحدث لم يتخذ من الفندق مكانا كما اعتقدت في بادئة الأمر، فقد تمثل المكان في حديقة الفراولة وفي البازار السياحي الكبير الذي يعج بميداليات تحمل شكل القضيب والفراولة وعباد الشمس، وغيرها من علامات المدينة، ولا تتعجب عزيزي القارئ من أمر القضيب، لأن القضيب يمثل رمزا من رموز باجيو، يمثل رمزا من رموز قبيلة قديمة سكنت هناك، يمثل شيئا مهما هناك علي ما يبدو، إلا أن

الضباب يسيطر علي الموقف، فربما يمثل الأمر برمته مجموعة من التكهنات، لا أكثر و لا أٍقل.

التكهنات، اللعنة على التكهنات، إن التكهن أمره غريب، إنه يرهق الأذهان ويدخلها في متاهات، ولذلك ستجد العقول تصنع التكهنات كمحاولة لحل الكثير من الأسئلة الغامضة، إلا أن الغموض لا مهرب منه، فالغموض يلاحق الجميع، نعم، الكل محوط بالغموض، ولا مهرب من الغموض بأي شكل من الأشكال، كما أنك تعتاده مع الوقت ليصبح رفيق دربك الأبدي، نعم، وربما يصبح رفيقك الوحيد في نهاية المطاف.

الغرفة، الفتاة تجلس بملابسها الداخلية بسبب الحرارة، إلا أن الجو في المساء يصبح باردا جدا، وهو ما لا يعد مألوفا في الكثير من المناطق الفلبينية، إلا أن باجيو جبلية بطبيعة الحال.

نتناول الشاي الأحمر المثلج، نتبعه بوجبة صغيرة مكونة من الإيمبنادا وموز السابا، ثم نأكل البيليناتس، وننهي الأمر ببعض من القهوة.

عندما تتأمل الجنسانية، تكتشف أن الأمر بأكمله متصل بالخيال، أقسم لكم بأنه متصل بالخيال قبل أن يتصل بالواقع، الإيروتيكا في حد ذاتها متصلة بالخيال الجنسي وقدرته علي الاستيعاب والتشكل، فالمرء يري كل سلوكياته الجنسية ضربا من الخيال والتفاهة والأحلام والأوهام المثيرة للسخرية في نهاية المطاف، ورغم ذلك ينساق وراءها، لكن، بالفعل، يفتقر الكثيرون إلي الإيروتيكا، وهو فن مهم للغاية، لأن الخيال الجنسي هو ما يصنع اللحظة القصوى ذات

التأثير الكبير، جنبا إلي جنب مع العناصر المتوافرة والبيئة والديكور والملبس والجمال، ورغم ذلك، يبقي الأمر في نهاية المطاف بمثابة الحلم والخيال، ومن الأمور المضحكة، حقيقة أن الكثير من الحضارات القديمة كانت تحذر أبناءها من الفسوق وكان المتعلمون يخبرون الكثيرين بأن الشهوة لا تتعدي كونها حلما بمعني أنها تتحول إلي حلم في نهاية المطاف، فيحدث الفعل ويضيف الآثام ويصبح ضربا من الماضي بعد كل ذلك، يصبح ضربا من الأحلام، كما أن الإيجو يحتاج إلي الأمر باستمرار وبصورة منهكة، ولهذا لا تعد البيئة سندا فعليا للإيجو، لكنه سند مهم في الوقت عينه، خاصة عندما يوظف في الإطار الصحيح، أما السند الحقيقي، فإنه يتمثل في العمل والتقرب إلي الإله، وفي النهاية، ينهار الإيجو بكل الأشكال، ويبقي السند الوحيد، السند المتمثل في الالتحام بالروحانية والتقرب المستمر إلي الإله.

ولذلك، عندما أتأمل أمامي الفتاة، فإنني من الممكن أن أخذها في جولات عديدة بخيالي الواسع قبل أن أقدم على فعل أي فعل، كما أن الخيال يتمتع بتحكم أكبر واستجابة أسرع، ورغم ذلك يبقي الشعور مهما، وتبقي التجربة الحسية ذات إشباع دافئ، ولذلك لا شيء يغني عن حضن امرأة، لكن الطهارة مطلب الراشدين بكل تأكيد.

فاللذة تتحول إلى ألم في وقت ما، فما بالك باللذة المحرمة، وها هي الفتاة تؤدي بعض التمرينات بملابسها القطنية الداخلية محاولة استثارة الغوريلا الكامنة بداخلي، إلا إنني أخرج إلى الشرفة وأبدأ في تأمل الجبال، والمشهد الخلاب، والأشجار الرائعة، والطبيعة الساحرة، إنه مشهد هائل عظيم، مشهد مميز للغاية، مشهد قادر علي إثارة دواخلي والتسبب في إشراقي.

أعود إلى الداخل، أشرب بعض الشاي، وأخبرها بضرورة الاستعداد من أجل زيارة حديقة الفراولة والبازار، وبالفعل، نسرع بالنزول، ونبدأ في التسجيل الخاص بموضع العمل، ونتنقل بين الأشجار المميزة ونشتري الكثير من الميداليات وأنواع التذكار، ونسجل عملا فنيا عظيما للغاية، على أن نرسله للمؤسسة الصحفية.

نجلس بمطعم جولي بي، نأكل الدجاج والجريفي، نشرب الشاي التايلاندي الذي أحضرناه بصورة مسبقة، نتنقل بين الدجاج دون توقف، فقد أحضرنا المزيد، نعم، كانت لذيذة للغاية، وكانت التتبيلة عظيمة، كانت هائلة.

نعود إلى الفندق، وتمر الليلة، وننزل إلى مطعم الإفطار، ونبدأ في الاختيار من الأوبن بوفيه الرائع، لحم التابا، البيض، الأرز، الخضار، العصير، عصير الأناناس بالتحديد، وغيرها من العناصر التي يعج بها المكان، ورغم ذلك، فإنني لم أكل سوي بعض البيض والخضراوات.

أخبرها بأنني قد وبخت عقلي كثيرا على مدار حياتي، انتقدته بكل صدق وبكل موضوعية، وهي موضوعية يفتقر إليها الكثيرون في حقيقة الأمر، فالكل يري أن أباه هو أفضل أب، الكل يري بعين ذاتيته القاصرة، الكل يري وفقا لتجربة قاصرة محدودة، نعم، الكل يري بعاطفته لا بعينه.

تخبرني بأن الإنسان يتحرك وفقا لوهم عميق، يتحرك معتقدا بأنه المركز، يتحرك ويري أن كل ما لديه يمثل الأهم، رغم أن هناك من يشعرون بالدونية أيضا، ولا شك في حقيقة أن الوجود يرسل إلى الجميع رسالة بين الحين والآخر ليخبرهم بحجمهم الطبيعي، لكنها رسالة ترسل بين الحين والآخر، والأكثر وهما يستقبلونها بصورة مفزعة ومضطربة، بكل تأكيد.

ثمة الكثير من الأشياء التي يمكننا التحدث عنها، إلا أن هناك أشياء أخري كثيرة نعجز عن التحدث عنها، نتحدث إليها لا عنها، وتمر الأيام ونحن في حالة من العجز، حالة من العجز عن التحدث عنها إلى المقربين، ولهذا يحل الصمت في النهاية.

أخبرها بذلك، وأوضح لها أن البشر في عزلة، وأن التواصل غير واقعي، وأن كارل يونج قد وضح في بعض كتاباته نظرية تخبرنا بأن التواصل وهمي وتوضح لنا أن الوعي يمثل حالة من الهلوسة ذات أجل وأن كلنا نشارك في بناء الوعي الجمعي في نهاية المطاف، لكن كلا منا يعيش في عزلة يحاول أن يكسر حواجزها بين الحين والآخر.

كسر العزلة والتعرف إلي العالم الخارجي، إنها تمثل حالة مألوفة بالنسبة إلي البشر أجمعين، فكلنا نحاول التواصل لكننا في الوقت عينه كثيرا ما نعود إلي ذواتنا، كثيرا ما نعود إلي أنفسنا لنستريح، ولهذا ستجد أغلب البشر في حالة صريحة من التأرجح بين الذاتية والتعامل مع الآخرين، وستجد المراهقين علي وجه التحديد في حالة من التأرجح بين الرغبة في التقوقع والرغبة في التحرك والانتشار، ومن الممكن أن نجد الكثيرين في دأب مستمر فيما يخص الوصول إلي حالة صريحة من التعامل مع البشر، وقد يشعرون بالخيبة إذا لم يحققوا انتشارا واسعا بأي شكل من الأشكال، وقد يشعرون بالحزن العميق إذا عجزوا عن الوصول العميق إلي كل من حولهم، وكأنهم في حالة من الصراع المتصل بولوج عوالم الآخرين جميعا، ولا يمكنني أن أنكر حقيقة أن التجربة مبنية بداخل إطار التروس التي تساعد بعضها البعض، لكنها في الوقت عينه ذات أجل ومحكوم عليها بالتآكل والتلاشي.

إن تجربة الإنسان غريبة للغاية، فالفضول يجره إلى التعرف إلى حيوات الرجال والنساء، لكنه في نهاية المطاف، يدرك أن الأمر لم يستحق كل هذا العناء، يدرك في نهاية المطاف أن الحلقة كانت مكررة مفرغة لا فائدة جمة منها ولا طائل من تعميق الفضول تجاهها، لكنها سنة الأمر وبيئة الحياة وطريقة الولوج التي كتب على الجميع خوضها والتنقل بين جوانبها، ولذلك، لا يعد الأمر نقدا مباشرا لكنه يعد رصدا قاصرا، وهو ما يعني أن كلماتي لا تحاول أن تسخر من التجربة لكنها تحاول أن ترصد مفارقاتها، لا أكثر ولا أقل.

كانت تنصت إلي مشمولة بحالة من الذهول، وكأن أوجي قد وصل إلي قمته، وكلماتي قد وصلت إلي حماستها القصوى، وخيالي قد وصل إلي حالة دبت الطاقة في عنفواني وأمدته بقوة لا مثيل لها، وأنيني قد تحول إلي كلمة ملموسة يمكنها أن تخرج شحناتي السالبة، وبراعتي قد تنقلت بين فنون الفلسفات وجعلت منها أمرا يسهل تطويعه، وقد نظرت إليها ومنحتها قبلة في العلن، وقد كان هناك طفل يرضع من نهد أمه عند الطاولة المجاورة، أمه التي كانت تجلس مع زوجها كاشفة عن نهدها مستمتعة بطعامها، وقد شعرت وكأن الطفل الصغير قد رمقني وأرسل إلي ابتسامة نمت عن دهاء ذكوري منقطع النظير، شعرت وكأنه قد مثل النبتة الأولية التي أسست عليها الكثير من الأمور، شعرت بالشفقة تجاهه، لأنه سيلج التجربة من بدايتها، تلك التجربة المكررة، تلك التجربة التي يصبح الفضول فيها نوعا من الحماقة والعبء مع الوقت، ورغم ذلك لا مفر من الفضول، لأنه يمثل الحقيقة التي تقود التجربة وتحركنا نحو كل جديد وتضفي علينا كل لمسة نحن في حاجة إليها، فلا حياة

بلا أمل وفضول، ورغم ذلك طوبي لمن وظفوا فضولهم في الأماكن المناسبة، فلم يرهقوا أنفسهم ولو يظلموا غيرهم.

أخبرها بأن رسومات فريدا كاهلو عظيمة للغاية، إنها رسومات تعبر عن صراعاتها مع زوجها والإجهاض الذي نال منها والإرهاق الذي لازمها ومرضها وغيرها من المتغيرات التي شملت حياتها، فتخبرني بأنها تحب هذه الفنانة، وتحدثني عن شخصية مهمة في عالم الفنون والثقافة الفلبينية، تحدثني عن خوسيه ريزال، تحدثني عن فكره وفنه وكفاحه، وتواصل حديثها لتعبر عن شخصية ذات أبعاد ثقافية واسعة، فأسعد بجانب لم تكشف عنه مسبقا، وأدرك أن الدفء الفكري لا يقارن، نعم، الدفء الفكري أعلي من العاطفة وأعلي من الجسد وأعلي من كل أنواع الدفء الأخرى، إلا أن الدفء الروحي يمثل القمة بكل تأكيد، ولا يمكنني أن أنكر روعة الدفء العاطفي والجسدي في الوقت عينه، لكنني أحاول أن أعمد إلي التدريج كما ترون، ورغم ذلك من الضروري ألا تدرج الأمور في الكثير من الأحيان، نعم، فمن الممكن أن نعيش دون تفكير عميق في الكثير من الأحيان، وحينها يصبح الأمر أقل وطأة.

إن التفكير العميق مرض، ولذلك يتجنبه الكثيرون، ويعيشون حيواتهم منشغلين بالعمل وجمع المال، وهكذا تمر الحيوات، رغم أن الكثير من الأمور تخفي عنهم، لكنهم قد تحركوا في أنفاق معينة وتجنبوا أخري، وبهذه الصورة جنبوا أنفسهم أفكارا عديدة، إلا إنه من الممكن للأفكار أن تفيد كما أنه من الممكن لها أن تضر، ورغم ذلك من الصعب التحكم في الأمر في الكثير من الأحيان، ومن غير اليسير أن يصل المرء إلي حالة من الفلترة المتعمدة والعميقة، ولذلك من الضروري أن ندرك أن عملية تنظيم

الفكر ليست بالسهولة التي نتخيلها، ورغم ذلك قد تكون ممكنة بشكل جزئي بشكل ما.

تجلس الفتاة معي في الغرفة، تجلس بتوب قصير وشورت قصير للغاية، تكشف عن فخذين بضين، وتعلو ابتسامتها كيانها بشكل دائم، وتقترب مني وتمنحني حضنا، وتحاول أن تجعل التجربة مدمجة لا مفرقة، وهو ما أحبه فيها وألاحظه في طريقة تعاملها مع الأمور، نعم، إنها تحاول دائما بلوغ التجربة الكلية، تحاول بلوغ التجربة الكلية بأي شكل من الأشكال، وهو أمر ليس باليسير، لكنه ممكن في بعض الأحيان.

مع الوقت، ستدرك أن الأمور مفرقة، التجربة الكلية مستحيلة، إدراك كل شيء وهم، العيش مع الفوضى بمثابة الحل، التأقلم والتكيف مع الفوضى الداخلية والخارجية، نعم، فالطريق حلزوني بشدة، والأمور مبعثرة، والطرقات كثيرة، والمداخل عديدة، والمخارج مختلفة، وكل شيء ليس كما نظنه، وهو ما يجعلنا في حيرة، ورغم ذلك، من الضروري أن تدرب النفس علي كل هذه الحوارات، ومن الضروري أن تكبت أمور وتحرر أمور، أما العمد الفردي إلي الكبت بشكل رئيسي أو التحرر بشكل رئيسي، فإنه أمر مرهق ومدمر لصاحبه قبل أن يؤثر علي غيره، وهو ما أدركته مع الوقت في حقيقة الأمر.

ألقيت الربقة التي أذلتني كثيرا عن كاهلي حينما صرت أسيرا للروحانية، وعندما تصبح روحانيا، فإنك لا تعد أسيرا في حقيقة الأمر، ولهذا من الأفضل أن أقول، حينما صرت روحانيا، لا حينما صرت أسيرا للروحانية، ولو أنني أتحدث عن الروحانية، فإنني أتحدث عنها محاولا بلوغها بشكل تام، لكن من الصعب للغاية الوصول إلي

هذه الحالة إلا بعد عراك وكفاح مع النفس، فألد الأعداء قابع في أنفسنا، ولذلك تعد الحياة صراعا مع النفس في حقيقة الأمر، ومن الضروري أن يكون هذا الصراع حكيما فلا يرهق النفس و لا يهوي بها إلي حافة الجنون، لأن الصراع كلمة واسعة، وصراع عن صراع يفرق، وعلي المرء أن يختار صراعاته جيدا، فالوقت ليس بالطويل.

تقترب الفتاة مني، تقدم إلى عصير الجويوبانو، أشرب بعض الماء بعدها، أمنحها قبلتين، تمنحني قبلتين، أمنحها قبلتين، تمنحني قبلتين، وهكذا، نتحدث كثيرا، نتحدث طويلا، بينما يحل الليل علينا، وها هو يجلس معنا، يشاركنا جلستنا، ينصت إلي أفكارنا التي لا تحصي ويحاول أن يلبي لنا ما يمكن أن يلبي، كما أن عقلي يجعلني أتذكر الكثير من الأمور التي شاهدتها حينما وصلت إلي البلاد في البداية.

في ليلة من الليالي، كنت أشعر بوحدة شديدة، كنت بالدور الأربعين كما تعلمون، نزلت مستخدما المصعد، وصلت إلى السوبر ماركت في الشارع المجاور، وجدت امرأة خلابة تقف أمامي عند الكاشير كاشفة عن مفاتنها وعن تاتو زين ظهرها، وقد دفعت وخرجت بعد أن اشتريت لبن الصويا بالموز والروت بيير والبولفورون وبعض الفواكه الاستوائية ورقائق الموز المقلية، وقد اقتربت مني الفتاة وأخبرتني بأنها تشعر بوحدة شديدة، وقد جلست معي في صالة البناية الخاصة بي، وكانت تحدثني عن الكثير من الأمور، وقد تنقلت بين الموضوعات دون هوادة، وقد أنصت إليها وكنت مستجيبا بشكل كبير.

وبينما كنت أشرب اللبن بالموز، وقعت الزجاجة أرضا فانكسرت، وقد همت لتساعدني فكشفت عن مفاتنها بشكل أكبر، فتحرك أيري، لكني سرعان ما كبته، وقد قمت بتنظيف الفوضى، وقد عدنا إلي النقاش مجددا، تلك الفتاة، تلك الفتاة، تلك الفتاة، كانت غريبة للغاية، شعرت وكأنها غجرية، نعم، تبدل حالها، وبدأت في التحدث بعصبية شديدة، كانت تخبرني بأنها لا تحب نظراتي، وقد وصفتني بالمتحرش، فأخبرتها بأنني لم أقدم علي أي فعل سيء، كما أنني رجل راشد عاقل لم يحدث صخبا في حياته إلا قليلا. فضحكت كثيرا وصممت علي الرحيل، فأخبرتها بأنني لا أجبرها علي المكوث، كما أننا بالريسبشن ويمكنها المغادرة بمنتهي السهولة.

تخبرني بأنها ترغب في الارتباط بي، أخبرها بأننا مختلفان، تخبرني بأن العلاقة لا تبني علي التوافق، لكنها تبني علي وجود درجة من التواصل وبعض الرومانسية وبيئة من الالتزام، أما التوافق، فإنه ليس من الضروري أن يكون موجودا، بمعني أنا المجهود المبذول للتواصل بمثابة الأساس، ولذلك لا تعد الصفات الفردية عائقا يحول بين فردين، لكن ما يحول بينهما يتمثل في عدم بذل المجهود الخاص ببناء شبكات الإرضاء العاطفي والتواصل، لا أكثر ولا أقل، كما أن خلاصة العلاقة تتمثل في مجهود التواصل في حد ذاته، فأخبرها بأنني متزوج وغير جاهز، كما أنني لا أحب العلاقات السريعة الزائفة، فتكشف عن عبوس وترحل.

أخبرت صديقتي الصحفية بهذه القصة، وقد أخبرتها بشأن زوجتي، وجلست أحدثها عن الكثير من الأمور ليلتها، وقد تابعت الكلمات لأخبرها بأن الفتاة التي تحدثت عنها في الأسطر الماضية، قد رحلت، لكنها عادت في أوج الليل، ودقت جرسي ودخلت غرفتي ومنحتني

بيئة فموية لم أتوقعها، وقد نزلت بعد ذلك، لكنها قبل أن تنزل حركت أصابعها بشكل غير لائق ووصفتني بالأحمق التائه.

تكشف الصحفية المثقفة عن عبوس، لا تتعامل مع الأمر بشكل مرن سلس، تخبرني بأنه من الضروري ألا أحدثها عن مثل هذه الأمور، وتوضح لي أن أمر زوجتي يعيق التواصل بيننا، فأخبرها بأنه من الضروري ألا تذكر أمرها كثيرا، كما أوضح لها أن أمر الفتاة التي أحدثها عنه لا يمثل سوي أمر عبثي لا طائل منه.

أمسك بكتاب عن بلمندو وأتبعه بكتاب عن الفن السريالي في أوروبا، وأتنقل بين الصفحات بشكل عبثي محاول لا أن أشتت انتباهي، فتخلع الفتاة ما ترتدي وتقفز إلى حضني في شراهة وحيوية، فيشتت انتباهي وأنزل إلى بئر الحيوانية.

-٩-

العودة إلي مانيلا، عودة الفتاة إلي شقتها، عودتي إلي شقتي، علاقتنا الغريبة المتقطعة، الطعام، الفواكه الاستوائية، الفتاة ذات التاتو وجلوسها في الحمام قبل مغادرتها، الصحفية ومؤخرتها الذهبية، التورون، جولي بي، باجيو، المرتفعات، الضباب، السحاب، مانيلا، كيزون سيتي، هايبر ماركت، إس أند آر، بيتزا نيويوركية، قبلات، أفواه، عقول متلونة غريبة، أحضان، شركاء، أفكار، أولاد صغار، بنات صغيرات، أزواج وزوجات، ملابس قصيرة، شورتات، توبات، نهود، امتحانات، تغطية صحفية، تغطية فورية، متحف، صور ولوحات، أشجار خضراء بصورة واضحة، رجال كثيرون ونساء كثيرات، نمل، كائنات صغيرة، كائنات كثيرة، جماجم كثيرة، أحلام عديدة، رغبات لا تحصي، أفكار مملة، ملل، رضا، هلاك، رغبات لا تنتهي بأي شكل من الأشكال، رجال يبحثون عن مثالية غير موجودة، علاقات تحوي بداخلها شجارا هائلا، اختلاف البشر، عدم وجود شخصين متشابهين بأي شكل من الأشكال، وجود بعض الأمور المشتركة وغياب أمور أخري، التنوع الكبير في الثقافات، كثرة البشر، كثرة النمل، كثرة الكائنات، سجائر، خمور، خنزير، بقرة، جاموسة، دجاجة، مطعم، إفطار سعيد، امرأة تجلس مع زوجها بمطعم وتكشف عن نهدها لترضع طفلها رغم وجود قاعة مخصصة للإرضاع لكن النساء كثيرا ما يرضعن الأطفال علنا بسبب الكسل، فلاحة ترضع طفلها بالحقل إلي جانب النهر، امرأة بالمول تكشف عن نهدها وترضع طفلها، رجل بالمول Transvestite كل ٣ دقائق، رجل شاذ كل ٥ دقائق، أقف بمحل ملابس وامرأة تكلمني بصوت رجولي خشن فأشعر بشيء غريب، نهد يقترب من وجهي، امرأة تجري بالبكيني ويحاول زوجها أن يخفي منحنياتها، الإنسان

في حلزونة وهمية، الإنسان كائن واهم، الإنسان لا يعرف الطريق، الإنسان يعرف الطريق، الإنسان فضولي لعين، الإنسان في حاجة إلي السكينة والهدوء، رجل يجري وراء امرأة ويخبرها بضرورة التعرف إليه، امرأة تشعر بأنها مركز العالم، كائنات صغيرة يحركها وهم المركزية، وهم المركزية الذي أرهق الكثيرين والكثيرات علي مدار الزمان.

كلها أفكار عبثية سيطرت علي ونالت مني، كلها أفكار غريبة عشوائية اجتاحت خيالي وهيمنت عليه، كلها أمور غريبة لا أعرف كيف تسللت إلى عقلي وكيف ولجت بيئتي، وقد كنت أتنقل بينها كمجنون بينما كنت مستلقيا على السرير متأرجحا بين اليمين واليسار محاولا أن أنام بأي شكل من الأشكال.

كنت أتنقل بين جانبي السرير دون توقف، كنت كالمجنون، عجزت عن النوم، نالت مني الأفكار حتى أرهقتني، وقد شعرت بقشعريرة تسربت إلى أجزاء جسدي، وقد قفزت إلى جزيرة النوم في نهاية المطاف فشعرت بالطمأنينة والدفء، إلا إنني قد تحدثت مع زوجتي عبر الفيديو شات قبل النوم، وقد أرسلت القبلات إلى ابنتي أيضا، وتمنيت لهما يوما دافئا مشرقا.

-١٠-

في مرة من المرات، جلست أقرأ لكارل يونج، كان كتابه يتحدث عن حقيقة أننا نبني غرورا في النصف الأول من حيواتنا، لكننا نبدأ في التخلص منه عندما يشرع النصف الثاني في الحلول، وقد توصلت إلى حقيقة أن من يعارض هذا الناموس يتعرض للمعاناة وقد تقف الكثير من التحديات أمامه فينخرط في دوائر مفرغة لا طائل منها، ولا شك في حقيقة أن الإنسان يتساءل في نهاية المطاف عن حياته فيما أفناها، ولكن عندما يقلل من وطأة غروره في البدايات، يصبح الأمر أكثر مرونة حينما يحل وقت الاضمحلال والانهيار.

لا يفهم الكثيرون هذا الناموس، وقد لا أفهمه أيضا بالشكل الواقعي الكامل، ولكن هل يفهم أي إنسان حياته بشكل كامل؟ هل يدرك الإنسان مساره بشكل كلي؟ هل يعرف الإنسان كيف وصل إلى هنا وكيف كان هناك؟ هل يعرف كل شيء عن حياته وحياة شريكه؟ هل يعرف كل أسرار الوجود؟

أعتقد أن تجربة الإنسان تجربة قاصرة للغاية مهما كانت درجة تحركه وحجم خبرته، كما أن مشكلته تتمثل في الاستعلاء والتبختر والاعتقاد بالمركزية الرهيبة، نعم، إنها رهيبة للغاية، فكل ذكر يتحرك مرتديا بدلته معتقدا بأهميته رغم قصور تجربته، ورغم عجزه عن التحكم في مجريات حياته بشكل تام، وهو ما يثير الضحكات في الأرجاء، نعم، الأمر أشبه بالمرأة الجميلة التي تسير بين الناس كاشفة عن مفاتنها لتخبرهم عن حجم البهاء الذي تتمتع به، رغم أن مفاتنها ليست بيدها، فقد منحت إياها، لا

أكثر ولا أقل، كما أنه من الممكن أن تكون ذات خيال واسع، فتعتقد بأنها جميلة رغم أن جمالها ناقص بشكل كبير.

العلم قد يغرك، الجمال، المال، النفوذ، الواسطة، القوة، إلخ، ولكن هل تعلم أن كل هذا بمثابة الوهم، لا أكثر ولا أقل؟ وهل تعلم أن كل ذلك ذو أجل؟ وهل تعلم أن كل شيء سيختفي فجأة مهما كان ما ترغبه؟

لأنها طبيعة الدنيا يا عزيزي، نعم، التلاشي والانهيار، في نهاية المطاف، موت الزرعة، انهيار الأرض، انخفاض المستوي، وقوع الفأس، وهكذا، ولا مهرب لأي إنسان من هذه الحلقة، ولا تعد كلماتي محاولة لنشر بذور الخراب أو التشاؤم، لكنها محاولة لرصد الحقيقة، رصد جزء من الحقيقة، وهو أمر ستدركه مع الوقت، حتي ولو حاولت عواطفك أن تخبرك بالنقيض، فالعواطف تحاول أن تزين الأمور، وتجعلك تتحرك واهما غير مهتم بالحقيقة، تلك الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في كبد السماء، لكنك تصمم علي تجاهلها من أجل استقرار عواطفك اللحظي، تلك العواطف التي تتغير باستمرار، خاصة إذا وظفت في محل غير محلها أو أدرجت في بيئة لا تمت للحقيقة والمنطق والواقع والحكمة والرشاد، وهو ما يجب إدراكه بأي شكل من الأشكال.

جبل فوجي، الجبل الأشهر والأكبر باليابان، ثوران بركاني متكرر، آخر ثوران استمر ١٦ يوما، وصل الغبار حتى طوكيو، إنه رمز مقدس بالنسبة إلى اليابانيين، كما أن اسمه يستخدم في الكثير من البراندات، جبل آبو، القمة الأعلى بالفلبين، دافاو، بركان يقظ لكنه خامل في الوقت عينه، معلومات عديدة، كتاب هائل عن

البراكين والجبال والتشكلات الأرضية، حالة من الروعة وبيئة دافئة من التنقل بين الجبال والبراكين والمنحنيات، لكن هناك صورة لفتاة عارية بنهاية الكتاب، اللعنة، لكن لا يهم، فالتجربة عشوائية، ولو كانت هناك صفحة غريبة لأصبح من الواجب تجاهلها، ولو كانت هناك صفحة مفقودة، لوجب عدم الاهتمام بها، فالعقل يتغاضى عن الكثير ويمر إلي الأمام.

كنت أتنقل بين صفحات الكتاب في سعادةٍ تامة، إنه كتاب ممتاز للغاية، كتاب ساعدني علي التخلص من الأفكار الفلسفية وثقلها ليلتها، وقد بهرتني ألوان صفحاته وساعدتني روعته علي الانخراط في بيئة عميقة غنية دافئة، فشعرت وكأنني قد أكلت لتوي وجبة دسمة أشبعتني حتي كدت أن أصاب بالتخمة، ولو أنني قد تنقلت بين صفحاته بصورة سريعة، فإنني قد فعلت ذلك محاولا أن أركز علي المعلومات المهمة فحسب، فالكتب تحوي معلومات مفيدة وأخري غير مفيدة وأخري مكررة، ولذلك من الضروري أن نركز علي ما يفيد فحسب، وبهذه الصورة تسلط الأضواء علي الفائدة الجمة، ونصبح أكثر قدرة علي مواكبة الحيوات السريعة التي نعيشها، فتصل التجربة إلي حالة من التصالح الذاتي والإدراك النفسي، ذلك الإدراك الذي يعلم أن العشوائية لا مناص منها، وفي الوقت عينه، من الممكن الفلترة والوصول إلي حالة من التصالح الموضعي، ذلك التصالح الذي يحتاج الانتعاش بين الحين والآخر، ذلك التصالح الذي يحتاج مجهودا لنحافظ عليه، لكنه في النهاية يبقي عرضيا، يبقي عرضيا في حاجة إلي تجديد وتهدئة وثبوت بين الحين والآخر، أما الاستقرار التام، فإنه محل أوهام وموضع شك وخيال وبيت للهرطقة وعرضة للانفلات من وطأة مشاعر عميقة لا يمكن الفرار منها إلا بهذه الصورة، وقد يمثل خطرا كبيرا في نهاية المطاف، في حقيقة

الأمر، وهو ما لا يمكن إنكاره، خاصة عندما تعيشه، عندما تعيشه بكل أحاسيسك، تلك الأحاسيس التي قد تعجز عن التخلص منها، بعد كل هذه المحاولات، بعد كل هذه المحاولات.

يبدو أن الأفكار الفلسفية قد نالت مني مجددا، فلا مهرب من الأفكار الفلسفية، نعم، لا مهرب منها بأي شكل من الأشكال، ورغم ذلك لكل عقل صداعه الخاص، نعم، لكل إنسان صداعه، إلا أن الأفكار الفلسفية لا تعد صداعا خالصا، لأنها تقدم اللذة بين الحين والآخر، وقد تقدم اللذة بشكل دائم لفترة مطولة حتي يتساءل المرء إذا كان من الممكن أن تصبح هذه النغمة بمثابة النغمة الدائمة، هو ما يعد أمرا مستحيلا في حقيقة الأمر، لأنه من الضروري للمرء أن يشعر بالألم والملل والعجز، كي يحس المتعة والنشاط والقوة، نعم، من الضروري للمرء أن يتأرجح حتي يشعر، ورغم ذلك هناك من يرغبون في قتل مشاعرهم بشكل شديد، وهناك من يرغبون في عدم التعاطف مع معاناة البشر، وهو ما يعد أمرا قاسيا، فالنفس القوية المتطورة في حاجة إلي التعاطف مع الآخرين، أما التجاهل التام، فإنه يجعل القلب قاسيا، وهو ما يعد أمرا حزينا للغاية، كما أن الآثام والأفعال السيئة والغرور بمثابة الطريق المباشر إلي فقدان العاطفة الدافئة، وهو ما ينعكس سلبا علي الإنسان وقتها، ولذلك من الضروري للمرء أن يوازن بين أفكاره وعواطفه، وأن يحسن أفعاله حتي لا تقتل قلبه، لأن الفعل السيء يقتل القلب مع الوقت، وحينها يزداد شتات المرء في الأرض ويصبح أكثر عرضة للهلاك.

أتوقف عن التفكر العميق، أتجه إلى المطبخ، أسخن شطيرة التفاح والقرفة الجاهزة، أستمتع بها بينما أشرب مشروب اللاجوندي، لا،

أشرب المشروب بعد أن أنتهي منها، نعم، أشربه، بعدها، تخيل، بعد متعة السكر، أشعر بنوع من العلقم، لا، إنه ليس بعلقم خالص، لا أعرف، ولكن، كي تشعر بالسكر لابد من العلقم، وقد تشعر بالعلقم بعد طعم السكر، فجذور شجرة المتعة مريرة مرة، نعم، ولذلك، ستصبح كالفريسة وستتبع الطعم حتى تصل إلى الجذور، وحينها سيداهمك العلقم، وهو ما يتعرض إليه كل إنسان.

-١١-

العالم بأكمله مسرحية، نحن نقف علي خشبة المسرح، نقدم عرضا يقيم في اللحظة، نقدم الأحداث والمشاعر والتصرفات، نؤثر ونتأثر، يقيم الأداء بصورة جزئية أحيانا وبصورة كلية أحيانا أخري، نعم، مسرحية كبيرة نلعب فيها أدوارا، إلا إننا نكتشف في نهاية المطاف أننا قد خيرنا في بعض الأمور فحسب.

كنت أحدث نفسي بهذه الكلمات، وقد رن جرس الهاتف، كانت ماريكار على الخط، حدثتني عن إحساسها ووصفت لي مشاعرها، وقد أخبرتني بأن هناك حدثا مهما على وشك الحدوث، وأنه من الضروري أن نستعد من أجل التغطية الصحفية.

كانت التغطية تخص جزيرة بوراكاي، كما أن هناك فتاة كولومبية كان من الضروري أن تصاحبنا، على أن يقدم كل منا عمله إلى ثلاث مؤسسات في نهاية المطاف، وكل مؤسسة تخص بلدها بطبيعة الحال، وقد كانت الكولومبية جريئة للغاية، وكانت تسير معنا مرتدية البكيني في معظم الأوقات.

وصلنا إلى الجزيرة في العصر، كانت جميلة للغاية، وقد حصل كل منا على غرفة خاصة، وقد انقطعت الحميمية بيني وبين ماريكار، وكأننا قد عدنا إلى الرشد، وكأننا قد أدركنا أن الأمر لا يستحق هذا التهور، وكأننا قد لاحظنا الخلل الذي حدث وأسرعنا بإصلاحه.

كنا نتجمع في المساء، ونتحلق حلقة رائعة، ونرقص حول بحيرة مميزة، وكنا نزور الشاطئ بين الحين والآخر لنستمتع بالأجواء المذهلة، وكانت هناك أفواج من اليابان والصين وتايلاند وماليزيا وكوريا الجنوبية وغيرها من البلدان، جنبا إلي جنب مع الفلبينيين والفلبينيات بطبيعة الحال، وقد التقطنا الكثير من الصور، وعملنا علي تغطية الجزيرة بشكل فعال، علي أن تسجل اللقطات من أجل أفلام وثائقية وأعمال صحفية ومجلات وغيرها من المجالات، فعندما تمتلك أرشيفا، يمكنك أن تحقق به الكثير من الأمجاد، إذا أتيحت الفرصة وتوفرت الظروف في حقيقة الأمر.

لو أنني كنت دونجوانا كما كنت في صغري، لتمكنت من السيطرة علي الكولومبية، لكنني صرت رجلا محترما ذا زوجة، ولذلك من الضروري الحفاظ علي ما لدي، ولو أنني قد وقعت في شبكة ماريكار، فإنني قد أدركت خطئي وطلبت الرجوع إلي الطريق القويم، وهو ما شكرت الإله عليه في حقيقة الأمر، كما أن الحميمية لا تستحق كل هذا الهراء، وعلي المرء أن يفرق بين الخطأ والصواب، ومن الضروري أن ندرك أننا إخوة وأخوات، ومن الخطأ أن نتجاوز الحدود أو أن نقدم علي أفعال لا تستحق كل هذا العناء، لأن الأمور تتحول في نهاية المطاف إلي أحلام، نعم، مجرد أحلام، وكأنها لم تحدث من الأساس، ورغم ذلك سجلت في الصحيفة، وزاد العبء الذي لا نراه، إلا إننا قد نراه في الكثير من الأحيان، وقد يؤثر علينا نفسيا بشكل غير مناسب، وقد يقتل الكثير من الأمور الجميلة التي زينت أنفسنا في الماضي.

نعم، على المرء، أن يختار بين الخطأ والصواب، كما أن لفظة (سيطرت)، لفظة غير مناسبة وغير متحضرة، فمن الممكن للمرأة

أن تسيطر على الرجل أيضا، لو سرنا على هذا المنوال، وهو إطار من الضروري ألا نتخذه بهذه الهيئة، فنحن لا نتعامل مع بعض الدمي، لكننا نتعامل مع بشر، وكلنا إخوة وأخوات، ومن الضروري للمرء أن يصبح متحضرا فيما يخص الكلمات والأفعال.

مشكلتنا نحن الرجال تكمن في الاعتقاد بأن المرأة تعجز عن اصطياد الرجال، رغم أنها تقدم علي فعل ذلك في الكثير من الأحيان، إلا أن الأمر أكثر وضوحا في المجتمعات الغربية، ورغم ذلك موجود في المجتمعات الشرقية، فالمرأة واحدة، والرجل واحد، لكن الفرق يكمن في الأخلاق والتصرفات، ولو كان الرجل ذئبا، فمن الممكن أن نصف المرأة بالعنكبوت، ولذلك من الضروري التخلي عن مثل هذه التخيلات، ومن الضروري أن ننظر إلي الأمر بحكمة، ومن الضروري أن نتحرك وفق درب الأخلاق، ذلك الدرب الذي يحقق الاستقرار، الاستقرار النفسي قبل كل شيء، في حقيقة الأمر.

كانت الكولومبية تتحدث الإنجليزية بصورة ضعيفة، سبقتها الفلبينية في قوة اللغة بوضوح، وكانت تخلط الإسبانية بالإنجليزية كثيرا، وقد وصلنا إلى مطعم أسماك مميز على جزيرة من الجزر الصغيرة التي تحوط بوراكاي، وقد تناولنا الطعام وشبعنا وشربنا البوكو وكان المشهد خلابا للغاية.

أمام الشاطئ، أتأمل المشهد العام، الفتاتان برداء السباحة، أسرع إلى النزول أيضا، أغطس بشكل عميق، أستمتع بجمال الماء، أسبح بينما يحوطني جبل أخضر ضخم وتلاعبني سماء تجمع بين النور والظلمة بشكل واضح، لكنها ظلمة جميلة في حقيقة الأمر، ظلمة لا تمنع النور من الوصول، فمن الضروري ألا نظلم الظلمة، فلولاها ما

أدركنا النور، لو لاها ما عرفنا النور، ما عرفنا الفرق بين الظلمة والنور، بين العتمة والضوء، نعم، كما أن الرائع يكمن في حقيقة أن الظلمة لم تعق النور، وهو ما مثل أمرا سماويا خلابا بكل تأكيد.

الجزء الثالث

كانت الكولومبية تعاني من نوبات ذعر ليلي، كانت هناك نوبات من الصراخ العنيف والخوف الشديد والتحرك الغريب، كنا نعمل على تهدئتها بين الحين والآخر، الذعر، نعم، الذعر، لطالما أشفقت علي البشر وأنا منهم، وأضحك كثيرا حينما يتحدث أحدهم بعنفوان متجاهلا ضعفه، ضعف الإنسان الكامن، ذلك الكائن الذي يتحرك بعداد، بقلب ينبض، يتفوه بالكلمات ويتحرك بعضوه معتقدا بأنه المركز، يا لوهم المسكين، يا لوهمه اللعين!

كانت تشعر بتعرق شديد وضربات قلب مرتفعة ومشكلة في التنفس وقشعريرة وغيرها من الأعراض، وكنا نساعدها علي التركيز الإيجابي والتخلص من الأفكار السلبية لعلها تعود إلي الحالة السليمة، وقد عرفنا فيما بعد عن مشاكلها مع زوجها الذي تركته في بوجوتا، علي أن تعود إليه بعد الانتهاء من السبق الصحفي، وكانت مرغمة علي العيش معه من أجل الإنفاق علي بنتها الوحيدة، لأن دخلها لم يكن كافيا لذلك، وقد كان زوجا مغتصبا يجبرها علي العلاقة باستمرار دون أي إذن، كان كالوحش رغم أن أيره كان صغيرا، وكانت تسخر منه أحيانا لهذا السبب فكان ينهال عليها بالضرب دون أن تصد أو ترد، وهو ما أحزننا بشدة وبث الشجن في النفوس وجعل الغصة تسيطر علينا وسمح للكدر بأن ينال منا وعمق اللذعة بداخلنا وجعل اللوعة تشملنا.

وقد أخبرتها بأن العنف الزوجي أمر خطير، ووضحت لها أن العلاقات تبني على الاحترام، كما أن الأزواج عبارة عن أشخاص يحاولون التوافق لأطول فترة ممكنة، ولكل منهم كيان خاص، ولذلك من

الضروري أن ندرك أن هناك تشابهات واختلافات بين الأزواج، لكن التواصل ومحاولة التكيف لأطول فترة ممكنة بمثابة الأساس قبل الانتهاء أو الرحيل إلى العالم الآخر الذي يمثل الأساس.

-١٣-

الرجل مطالب بمنح العاطفة بشكل أكبر في حقيقة الأمر، هذا ما اكتشفته مع الوقت، نعم، الرجل المستقر لا يشعر بأنه يملك المرأة ولا يشعر بالنصر حينما تكون لديه امرأة، كما أنه لا ينتظر الكثير من العواطف، لكنه يمنح العاطفة بشكل عميق ومستمر، ورغم احتياجه للعاطفة، فإنه من الضروري أن يقلل احتياجه لها ويعطيها بشكل أكبر، وهو نهج يجب أن يتبعه مع الوقت فيما يخص كل شيء.

هكذا حدثت ماريكار وصديقتنا الكولومبية، وقد تابعت كلماتي موضحا أن الرجل الحقيقي رجل لا يعبأ بالكثير من الأمور، نعم، الرجل الحقيقي يهتم بأسرته وبتزويدها بكل ما تحتاج مع الوقت، كما أنه ينحي غروره ويقلل متطلباته، ولو لم يعمد إلي ذلك، سيجبر مع الوقت علي مثل هذه الأمور، وحينها سيكون وقع الأمر وقع الصاعقة علي النفس، فيصدم المرء ويعجز عن المواصلة، أما التدرج والتقليل من المتطلبات، فإن اتباعهما بمثابة التأهيل والاستعداد للتكيف مع الناموس الذي بني عليه هذا العالم المعقد، ولو أننا قد تنازلنا عن الكثير، لتمكنا من المواصلة ولوصلنا إلي حالة من الاستقرار النفسي، فصرنا لا نعبأ بالعواصف ولا نهتم بالمتغيرات الكثيرة، ولا يمكنني أن أنكر حقيقة أن الإنسان كائن من لحم ودم، كائن يشعر ويحس، لكنه في الوقت عينه مطالب بأن يوازن مشاعره وأموره، وبهذه الصورة يصل إلي الكثير من النقاط التي قد تريحه في المستقبل القريب والبعيد، إلا أن المستقبل البعيد قد يتمثل في رحيله وانتقاله إلي عالم آخر، عالم لا يفني ولا يتأرجح بالكائنات ولا يسبب لها الاضطراب.

إن الاضطراب الخاص بالعلاقات أمر لا مفر منه، كما أن هناك أمما تعيش كالحيوانات بشكل واضح وأخري تعيش بهذه الصورة لفترة ثم تستقيم بعد ذلك، وثالثة تعيش بصورة محافظة للغاية، وهي تمثل القلة، في حقيقة الأمر، كما أن محاولة الوصول إلي ناموس فيما يخص العلاقات البشرية، تمثل وهما كبيرا، ومن الصعب الوصول إلي ناموس فيما يخص الكثير من الأمور، وأقصد بذلك سبل التواصل والاستقرار، لأن الاضطراب ينشب في الكثير من الأحيان دون أسباب واضحة، وكأن وجود كائنين إلي جانب بعضهما البعض يمثل عبئا في بعض الأحيان مهما كانت درجة الانسجام، كما أن القرآن ينبهنا إلي حقيقة أن كل إنسان مسؤول عن تجربته الخاصة وسيحاسب عليها، كما أنه يلج التجربة وحيدا ويغادرها وحيدا.

تساعد العلاقات على بلوغ الدفء، العلاقات السليمة الأخلاقية الصحيحة المستقرة، ورغم ذلك لا مفر من الصراع، ولو أننا قد تفحصنا شأن الكولومبية جيدا، لأدركنا أن علاقتها بزوجها قد انهارت لأسباب عديدة، لأسباب لا يمكننا أن نجد الوقت لتفحصها، لأن كلا منا يعيش متاهته الخاصة.

لكنها قد سمحت له بالتعدي على حقوقها وولوج مساحتها الخاصة، وهو ما يعد خطأ كبيرا، وعلينا أن نعلم الأبناء والبنات أن الشريك لا يمثل رفيق الروح التام كما يزعم الكثيرون، لكنه يمثل رفيق الدرب وصديق الكفاح وحبيب القلب الذي يتمتع بحدوده الخاصة، وهو ما يوضح أن الإنسان يتحرك وفقا لبنود حتى مع أقرب الناس إليه، حتى مع إخوته وأبيه وأمه، وتحدث المشاكل حينما نتعدى على هذه البنود في بعض الأحيان.

إن الإدراك الكلي للعاطفة البشرية ودفئها، أمر وهمي، ورغم ذلك قد يكون هناك إدراك بين الحين والآخر، ولو أننا قد عملنا على تتبع الدفء باستمرار، لأصبنا بالتعب مع الوقت، وهو ما يتعرف إليه كل إنسان بينما يمر به الزمان، كما أنه من المستحيل عمليا أن تحصل على العاطفة إلا إذا كنت تشعر بنقص فيها، وعندما ترضي نفسك عاطفيا بشكل مستمر، تجدها ترغب في الانسحاب لعلها تشعر بالنقص وتعود للإرضاء مجددا، فكي نشعر بالشيء، من الضروري غيابه أو لا.

لقد جلست مع ماريكار وصديقتنا الكولومبية نتحدث عن الكثير من الأمور أمام الشاطئ، وكانت الفواكه الاستوائية تزين جلستنا، وقد أخبرتنا الثانية بأنه من الضروري للإنسان أن يضع هدفا من أجل حياته، لأن الحياة بداخلها نزعة عبثية قوية، وإذا عجزنا عن ترويض هذه النزعة، صرنا موضع الصراعات والمتاهات، وقد وضحت أن المتاهات كثيرة، وقد نعتقد أننا قد بعدنا عنها رغم أننا نكون وقتها بداخلها، وهو ما يثير الضحكات في الأرجاء، فالوهم يحوطنا، نعم، يحوطنا بقوة، ولا يمكننا الهروب منه، ولو اتخذنا العمل كوسيلة للهروب، تحول العمل نفسه إلي متاهة، وقد تابعت كلماتها موضحة أنها قد رأت الكثيرين يشغلون أنفسهم بالعمل للهروب من الكثير من المتاهات الأخرى الأكثر إرهاقا، وهو ما يدركه الكثيرون مع الوقت، فهناك متاهات أقل وطأة من متاهات أخري، وربما تمثل المتاهات الذهنية الفخ الأكبر في هذه الحياة، لأننا نتفاعل مع التجربة بقوة رغم أنها وهم كبير، نتفاعل معها وكأنها كل شيء، رغم أن اللحظة تمر وتنسي، وهو ما يجعلنا في حيرة فيما يخص الكثير من الأمور.

أخبرتها بأن الدين يوضح أننا سنحاسب على اللحظة، وقد تسهل الرحمة من عملية الحساب، وبهذه الصورة يتم التغافل عن اللحظة التي حدث فيها الخطأ، ورغم ذلك لا توجد ضمانات، ولذلك ينبغي على المرء أن يولي اللحظة أهمية من حيث مرورها دون التسبب في أذى للنفس أو للغير، أما اللحظة نفسها، فإنها ستمر كما سيمر كل شيء.

وضحت لها أن المتاهات كثيرة بالفعل وأن العقل يبحث عن إنجازات يظنها إنجازات في بداية الأمر، لكنها تتحول إلى متاهات مع الوقت، وقد بينت أن المتاهات أمر طبيعي لكن تكرارها يمثل أمرا مرهقا ومضنيا، كما أن الثبات بداخل متاهة واحدة خطأ كبير يرتكبه الكثيرون، ورغم ذلك هناك متاهات تمثل الأساس، ومن الضروري ألا نتخلى عنها أو نسعى نحو الانتقال منها إلى متاهة شبيهة، وهو ما يتصل بدرجة الحكمة والإدراك، وانتقاد الحكمة صار منتشرا في هذا الزمان، رغم أن الحكمة تمثل مفتاح النجاة.

كان حديثي عن الدين غير واضح بالنسبة إلى الفتاتين، فقد نظرتا إلى وجهي مشمولتين بالذهول والتخبط، وكانتا تجلسان بالبكيني وفي يد كلتيهما بعض الموز، موز السابا، على ما يبدو، وقد منحتني ماريكار بعضا منه، وجلسنا نأكل في انسجام.

لطالما تساءلت عن حقيقة ولوج الكلمات إلي الأذهان، وكثيرا ما أخبرت نفسي بأن الكلمات تؤثر أحيانا ولا تؤثر أحيانا أخري، كما أن الكلمات قد تنقسم إلي قسمين وفقا للكثير من العوامل، فيؤثر قسم في المستمع ويعجز القسم الآخر عن التأثير، كما أن التأويل يلعب دورا مهما، ولا يمكنني أن أتجاهل درجة التحليل واختلافها

بين الأنام، فنحن نحلل الكلمات بدرجات مختلفة ووفقا لقدرات مختلفة، ولذلك لا يمكننا أن نتحدث عمن يقدم الفكرة وننسى من يستقبلها، لأننا بهذه الحالة نكون قد تجاهلنا شقا رئيسيا وجانبا مهما وأمرا أساسيا بشكل لا يصدق.

أعتقد أن الجلسات قد تفضي إلى أمور مفيدة في أحيان قليلة، أما معظمها، فإنه يمثل حالة من تمرير الوقت، نعم، تمرير الوقت لا أكثر ولا أقل، وهو ما توصلت إليه الفتاتان أيضا، وقد انتهت جلستنا مشمولة بالكثير من الضحكات، تلك الضحكات التي نعمد إليها لنهرب، نعم، نعمد إليها من أجل الهروب والترويح.

-١٤-

حدثتنا الكولومبية في الليل، بينما كنا في غرفتها كضيفين، قبل أن نعود إلى غرفتينا، عن حقيقة أن زوجها يعاني من alopecia واضحة، وقد تابعت كلماتها موضحة حقيقة استيائه الشديد من هذه الحالة، وقد أخبرتنا بأن لكل عقل صداعه الخاص، وربما تمثل هذه الحالة صداع زوجها، جنبا إلى جنب مع أنواع أخري من الصداع، لكن الصداع درجات، ومن المعروف أن هناك موضوعات تمثل الصداع الأكبر بالنسبة إلى كل عقل، وهو أمر يصعب التحكم فيه مع الوقت، ورغم ذلك قد يتم التحكم فيه ليصير خاملا لكنه ينشط بين الحين والآخر.

كانت تجلس بشورت أحمر وكانت ماريكار تجلس بشورت أبيض وكنت أجلس بشورت أزرق، وكنا نرتدي تيشيرتات لونها أبيض، وكنا نتحدث بلا هوادة، وكأن الطاقات السلبية كانت ترغب في مغادرة أجسادنا بهذه الكيفية، وقد حدثتهما عن الطبيعة الدينية للمجتمع الفلبيني، وتابعت كلماتي لأضع المايك أمام فم ماريكار، لأنها بلدها، وبكل تأكيد تعرف أكثر مني فيما يخص هذا السياق.

فأخبرتني بأنها لا تعرف كثيرا عن هذا السياق، لكن كل ما يمكنها أن تقوله يتمثل في جملة واحدة، جملة تمثل ملخصها في حقيقة أنها لا تهتم بالاختلافات وأن ما يهمها يكمن في طريقها، فضحكت كثيرا، ورأيت أنها قد تهربت من التحدث في الأمر، وقد تجاهلنا الكلمات، هل تعرفون تلك الحالة التي نتجاهل فيها ما يقال؟ كل ما يقال؟

أعتقد أننا نتجاهل الكثير من الكلمات مع الوقت، وبهذه الصورة نفقد الإحساس تدريجيا مع مرور الزمان.

-١٥-

لقد ناقشنا فكرة الطبيب والمريض، أخبرتني ماريكار بأنها تري أن الطبيب والمريض سيموتان في النهاية، لكن عملية التسكين والتلطيف من المرور والتهدئة تحتاج إلي سير العملية علي هذا المنوال، وبهذه الصورة يحل كل شيء بشكل جزئي، وفي الوقت نفسه يشمل التلاشي التجربة بأكملها، كما أن هذه الرؤية لا تقلل من أهمية من يحل المشكلة، لكنها توضح أن المشكلة والشخص الذي تعرض إليها والشخص الذي يعمل علي حلها، بمثابة العناصر التي ستتلاشى في النهاية، وبهذه الصورة يقلل البشر من الضغط النفسي عبر الهروب، فإذا عجزوا عن حل المشكلة، عمدوا إلي هذا التفكير، عمدوا إلي الحقيقة التي لا مناص من التعامل معها، لكن التلاشي في حد ذاته يحمل بداخله العبور، العبور إلي ما لا نفهمه بصورة مرئية، لكننا نؤمن بعناصره، وأخص بهذه الكلمات البيئة التي ستحوطنا بكل تأكيد.

ضحكت الكولومبية كثيرا وأخبرتنا بأن نظرتنا تحمل بداخلها حالة من الهروب الواضح وصفة النزعة التدميرية في قمتها، فأخبرتها بأنها الحقيقة التي لا مفر منها، وكل ما ينأي عن هذا، يعد هروبا من الحقيقة لا أكثر ولا أقل، يعد خضوعا كاملا للوهم البشري، في حقيقة الأمر.

تنقلنا بين الكثير من الكلمات، وقد تحدثنا عن الجزيرة، وأهم الأماكن، والأماكن الأخرى التي سنزورها ونغطيها، وقد أخبرتهما بأن الأمر يمثل مجهودا كبيرا، لكنه في الوقت عينه بمثابة الانتصار والإنجاز، وهو ما نسعى نحوه، لكنني كثيرا ما أتساءل

عن حقيقة المجهود المبذول والعائد منه وحقيقة المسار ودرجة الاستمتاع والإحساس، كثيرا ما أتساءل عن حقيقة الإحساس البشري. فهل نحس بالفرحة فعلا؟ هل نحس بالإنجاز؟

أعتقد أن الأمور لا تأتي بالصورة التي نتوقعها، لكنها تأتي بصورة قريبة، أو بصورة بها بعض الفراغات التي نكملها معتمدين على مبدأ الرضا بالشيء المقدم إلينا، ورغم ذلك قد تؤثر هذه الفراغات بصورة لاحقة، إذا عجزنا عن سدها باستمرار، فالأمر يتصل بالمجهود المبذول لسد هذه الفراغات في الكثير من الأحيان، وهو ما يدركه الأنام مع التقدم إلى الأمام، نعم، وهو ما يدركه كل الأنام مع التقدم إلى الأمام.

فبينما نتحرك إلى الأمام، نعمل باستمرار على مواكبة الفراغات، فنسد بعضها ونكمل المسار في وجود البعض الآخر، نعم، فالحياة البشرية أشبه بالكنافة، وعلينا أن نتعامل معها كما هي، وعلينا أن نتعامل مع الغموض دون غضب، دون شكوى، دون صراعات وجدالات عقيمة لا طائل منها، وهو ما يدركه كل حكيم مع التقدم إلى الأمام، ولذلك يلجأ الكثيرون إلى الصمت التام في نهاية المطاف.

إن التجربة البشرية تكون منظمة في البدايات، لكنها تصبح غريبة مع الوقت، والأمر يتصل في حقيقة الأمر بالوعي أكثر من كونه متصلا بالتجربة نفسها، فالوعي البشري عاجز عن تقبل التجربة بصورة كاملة أو بصورة مستمرة، فيعجز مع الوقت عن التركيز الكلي ويصبح أقل قدرة على التنظيم والاستقبال المنظم، ورغم ذلك قد تعد الطرق الكثيرة التي يسلكها الإنسان بينما يعيش تجربته القاصرة بمثابة المسبب للفوضى، إلا أن هذه الفوضى قد تكون

نظاما فد حد ذاتها، لكنه نظام تعجز عقولنا القاصرة عن إدراكه وإدراك الحكمة التي تخصه.

تقرب ماريكار فخذيها من بعضهما البعض، وتخبرنا بأن صديقتها إرنيستين قد أخبرتها في يوم من الأيام بأن الحياة لا تختلف عن الأفلام، فحياة كل إنسان بمثابة الفيلم القصير، كما أن الإنسان قد يعجز عن إدراك فيلمه مع الوقت، بعد أن كان في البدايات يراقب أفلام الآخرين، نعم، يصبح عاجزا عن مراقبة فيلمه، رغم أنه كان يراقب فيلمه وأفلام الآخرين في البدايات، كما أن المضحك أن هناك كائنات بشرية تصمم على مراقبة حيوات الآخرين رغم أنهم قد فقدوا الاتصال بحيواتهم الشخصية، وهو ما يثير الضحكات في الأرجاء.

أخبرتها بأن مراقبة حيوات الآخرين خطأ كبير، وقد وضحت أن التخلص من هذه الحالة يتطلب الجلد والمثابرة والتحدي والإصرار، لطالما تساءلت عن حقيقة المنافسات التي يضع البشر أنفسهم فيها من أجل لا شيء، لطالما تساءلت عن كل هذه المنافسة التي أقحمنا فيها من أجل لا شيء، لكنني أدركت مؤخرا أن العقل البشري يحتاج إلي بعض أنواع القلق والمقارنات والغيرة كي يحرك صاحبه، وبهذه الصورة يدخل البشر في صراعات، فكي يتحرك الإنسان، من الضروري أن يشعر بالنقص، وهناك من يحفزهم النقص جنبا إلي جنب مع الغيرة، فعندما يري الطفل الأب يسرح شعره بشكل معين، يقلده ويحاول أن يتفوق عليه أحيانا، وهو ما يمثل الصورة الأولية، في حقيقة الأمر، فما بالك بالكبار؟

إن الغيرة بين الفتيات علي سبيل المثال مضحكة للغاية، فالفتيات يراقبن الأجساد ويتأملن كل شيء وقد يشعرن بالغيرة بشكل غير طبيعي لأن واحدة منهن لديها وجه أجمل أو نهد أكبر، وهكذا، كما أن الفتيان يشعرون بالغيرة ويتنافسون أيضا، والأمر يصل إلي العجزة، تخيل، نعم، فالغيرة تحرك الجميع، والغيرة تدخل البشر في صراعات من النقص أيضا، وهو ما يعد أمرا طبيعيا يدخل فيه الكثيرون لكن التحدي يتطلب الخروج من هذه الدائرة دون الإخلال بالمنظومة التي تحركنا، فنعمد إلي الغيرة الشريفة، ونكون متنافسين بشكل شريف، لا بشكل سيئ مخيف.

إن الغابة التي نتحرك بداخلها، تعج بالكثير من القردة، وقد صار الأمر مأزقا كبيرا، وقد صرنا نتحرك بداخل متاهات لا حصر لها من أجل لا شيء، وبمجرد أن نصل إلي إنجاز، نهرب إلي إنجاز آخر، وهو أمر مضحك بكل تأكيد، فقد صرنا لا نشعر بالإنجاز وصرنا لا نشعر بأهمية المرغوب الذي حصدناه لتونا، نعم، صرنا كالمجانين، وقد أثرت الحضارة الغربية بصورة واضحة في هذه الحالة، فصرنا كالأدوات، صرنا نعبد الماديات، وهو أمر محزن بكل تأكيد، لأن الهوس بالمادة بمثابة الطريق المباشر للخراب في نهاية المطاف، الخراب النفسي قبل كل شيء، وحينها نلقي بالإسقاطات النفسية علي الآخرين، ونصبح بعيدين كل البعد عن كوننا منصفين.

ضحكت الفتاتان، وقد تعجبتا من الحماسة التي هيمنت على وجداني، وقد حضنتني ماريكار، وأخبرتني بأن وقت النوم قد حان، وقد غادرت مسرعا، وغادرت هي الأخرى، وقد نمت سريعا، بينما كان صوت التلفاز يزين الخلفية، وقد حلمت بالكثير من الأمور التي

ولت، نعم، حلمت بأمور قد نسيت معظمها وأخري لم تمثل سوي مجموعة من التخاريف والأمور التي كبتت في الماضي السحيق.

انتهت الجولة، وقد عدت إلى الشقة في مانيلا، ولم أقابل الفتاتين مجددا بأي شكل من الأشكال، وقد أخذت قسطا من الراحة، ولم أعد إلى العمل الصحفي هناك إلا بعد شهر كامل.

في هذه الفترة، تنقلت بين الكثير من الأماكن، زرت صالون حلاقة ضم مجموعة من الجايز والذكور ذوي ملابس النساء، وقد رحبوا بي، وقد كان أحدهم يدعي مادونا، وقد حلق شعري بشكل جيد، لكنني كنت أشعر بحالة من الميوعة فيما يخص طريقة تحدثه، وهكذا كان الحال مع المدير جو إد أيضا، ذلك الرجل الذي كان يتحرك بميوعة غريبة، وقد شعرت بمشاعر مختلطة تجاههم، لكنني تجاهلت الأمر في النهاية وغادرت، وقد زرت الكثير من المطاعم فيما بعد، وقمت برحلة إلى بعض البحيرات والجبال، وتنقلت بين عروض الفتيات والدلافين والنسور والببغاوات، كما أنني قد استمتعت بالطعام في الكثير من المطاعم المميزة في حقيقة الأمر، نعم، لقد زرت معظم المطاعم هناك، وتنقلت بين الكثير من الوجبات المحلية التي ميزت أهل البلاد المختلفة التي تنقلت بينها، لكنني كنت أعود بعد كل زيارة إلي مانيلا، لعلني أعد نفسي من أجل الرحلة الجديدة، وقد كانت زيارة الجزر مذهلة بكل تأكيد، كما أن زيارة مكاتي وBGC مثلت تجربة مميزة، ولو أن هناك شيئا قد أحببته بشدة في هذه البلاد، فإنه حتما يتمثل في ترحيب الناس، نعم، إنهم يرحبون بالأجانب بشكل لا يصدق، فيشعر المرء وكأن البشاشة لا تغادرهم، ورغم ذلك، هناك بعض العابسين بين الحين والآخر، وهو ما لا يمكن تجنبه كما تعلمون.

لقد أنفقت الكثير من المال في هذه الفترة، وقمت بشراء الكثير من المنتجات والسناكس، وعملت على الاستمتاع بالتجربة الروحية والتنقل بين عناصر الطبيعة المختلفة، وقد وصلت تجربتي إلى القمة بفعل الطبيعة الخضراء الجذابة المميزة القادرة على اختراق الوجدان وإقحامه في بيئة لم تكن في الحسبان والوصول به إلى حالة من النرفانا العميقة والتأمل الطويل والتفكير الخلاب، ذلك التفكير الذي يخلو من المنغصات، وهو ما يعد أمرا مميزا للغاية، لأنني بهذه الصورة أكون قد وصلت إلى ما رغبت في الوصول إليه في حقيقة الأمر.

أنت تريد أن تثبت أمورا لنفسك ولغيرك، ولكن هل تعلم أن التجربة بأكملها لا تمثل سوي حالة انتقالية؟ هل تعلم أن الأرض بما عليها بمثابة الحالة الانتقالية الخاضعة للتغيير والتلاشي؟

عليك أن تدرك ذلك بينما تتحرك على سطح هذه الأرض، وفي الوقت عينه من الضروري أن تدرك أن الطبيعة تساعدك على الاستجمام وتوضح لك أن حجمك صغير وأن صراعاتك وكفاحك بمثابة الحلزونة الوهمية التي أقحمت فيها، لا أكثر ولا أقل، نعم، لا أكثر ولا أقل.

في ليلة من الليالي، كنت جالسا بالمنزل أتنقل بين الأُفكار، أحاول الوصول إلى كل ما يريح الأذهان، وقد توصلت إلى نقاط كثيرة تخص العروض، تلك العروض التي نقدمها جميعا.

رأيت أننا في حاجة إلى الناس لنقدم لهم العروض، فإذا غابوا عن الساحة، صار العرض بلا مشاهد، لكنني في نفس الوقت تساءلت عن أهمية العروض، لأننا بهذه الصورة نكون أمام حالة من التصفيق المشكوك في أمره، نعم، فالأمر محل شك كبير، ولذلك من الضروري التروي التام فيما يخص العروض.

هل نقدم العروض لأننا في حاجة إلى تقديمها من أجل أمور داخلية؟ أم أننا نريد أن نقدمها كي نذهل من يجلسون أمامنا؟ أم أننا نحاول أن نتنقل بين عروض كثيرة بدافع قتل الملل؟

لا أعرف حقيقة، لكن ما أعرفه يتمثل في أننا نعيش حالة من العروض المستمرة، تلك العروض التي تقدم بواسطتنا وبواسطة غيرنا، كما أن لهذه العروض هيئات معينة وصفات محددة.

عندما تتأمل أعضاء الجسد البشري، عندما تتأمل الأذن، العين، الأنف، النهد، العضو الذكوري، العضو الأنثوي، الجمجمة، المؤخرة، إلخ، تكتشف أنك أمام أشكال محددة تختلف أبعادها بين الأناس لتقدم هيئات متنوعة لكنها صاحبة أصل واحد في النهاية، وقد كان من الممكن أن تكون هذه الأعضاء صاحبة هيئات مختلفة، نعم، كان من الممكن للعضو الذكوري أن يقدم شكلا مختلفا تماما، والحال

نفسه بالنسبة إلي العضو الأنثوي، كما أن هناك أمرا غريبا فيما يخص هذه الأعضاء، حيث أنها تشعرك بالأصل، تشعرك بالاتصال بالطبيعة وبالبيئة الحيوانية، وهو أمر قد يسبب النفور بالنسبة إلي الكثيرين، ولكن هل ينفر الإنسان من أصله؟ لا أعلم في حقيقة الأمر، فالأمر راجع إليك، وراجع إلى طريقة تعاملك معه، تلك الطريقة التي ستحدد الكثير من الأمور المهمة.

جلست أشاهد فيلما لجوني ديب، كان يدعي ميناماتا، كان يتحدث عن داء ميناماتا أو المتلازمة العصبية الناجمة عن تسمم الزئبق والتي تؤدي إلي الموت في النهاية، وقد تسبب مصنع من المصانع اليابانية في هذا المرض، حيث كانت المياه ملوثة بفعل الصرف، كما أن المواد السامة كانت تستقر في المحار والأسماك في الكثير من الأحيان، وقد كان الموقع متمثلا في خليج ميناماتا، ورغم وفاة الكثير من البشر والحيوانات علي مدار الكثير من السنوات، لم تقدم الحكومة علي اتخاذ الإجراءات المهمة للحد من التلوث، وقد قامت بمجهودات قليلة وقدمت بعض التعويضات فحسب.

لعب ديب دور المصور الذي عمل علي تغطية الحدث وتسجيل المعاناة البشرية في المحافظة اليابانية كوماموتو، وقد انتشرت الأخبار حيال الكارثة الإنسانية في العالم بأسره، وقد تعاطف الكثيرون مع حال الناس هناك، و لا شك في حقيقة أن البشر قد تسببوا في الكثير من الكوارث البيئية علي مدار العقود، تلك الكوارث التي أثرت بالسلب عليهم ودمرت حيوات الكثيرين وأحدثت مأساة كبيرة في الكثير من بقاع الأرض، كانفجار المفاعلات والتسمم بالمواد الكيميائية وتشوهات الأجنة وإنتاج الأدوية الممرضة والمسببة للتشوهات والتسبب في الكثير من أنواع التسمم والحروب

والصراعات والعمليات الإرهابية والفساد الإداري والجهل، وغيرها من العناصر التي شكلت بيئة القصور البشري، تلك البيئة التي وقفت بقوة أمام بيئة الإنجازات، وقد دخلتا في صراع جاد، صراع لم نعرف نتيجته الحاسمة حتي يومنا هذا.

إن الكوارث البيئية محزنة للغاية، لأنها تدمر حيوات الكثيرين، نعم، تدمر حيوات الكثير من الأبرياء، كما أن الحروب تثبت بوضوح بربرية الكائنات البشرية، ومن الممكن للوطنية أن تكون ذات تأثيرات سيئة حينما تضع البشر في حمية، حمية تجعلهم يتحركون كالوحوش من أجل أممهم، فتدخل الأمم في صراعات تقضي عليها، نعم، فعندما يصبح الأمر أشبه بالغابة، لن نجد أنفسنا سوي في ورطة كبيرة، ورطة يصعب الهروب منها بأي شكل من الأشكال.

ولو تأملنا الكوارث والصراعات عن كثب، لأدركنا أن البشر يتصارعون من أجل إحكام القيادة، رغم عجزهم جميعا عن القيادة بشكل سليم، فكلنا لا نمثل سوي مجموعة من التروس، ومن ظن نفسه العجلة، فقد هلك.

من تستفيض شهرته ويذاع صيته وتتعمق موهبته، يظن نفسه قد وصل، لكنه لم يصل إلي شيء فعلي، فمن وصل، وصل بأخلاقه ودأبه وتواضعه وحسن تعامله مع الآخرين، وعندما نتأمل المتسببين في الكثير من الكوارث، نجدهم ممن يرغبون في حصد المال والشهرة والشعور بالأهمية، نعم، فأكثر الكوارث أساسها رجال أرادوا أن يكونوا مهمين، فأحسوا بأنفسهم ولم يحسوا بالآخرين، نعم، أهملوا حقوق الآخرين بينما كانوا يعيشون حالة التطور التي تخصهم، وهو

شأن الكثير من الناجحين، نعم، يقتلون العاطفة مع الوقت، ويحظون بمسار خشبي بعيد عن العواطف، فالعواطف تقلل من النجاح للأسف الشديد، ولذلك ستجد أكثر الناجحين مغيبين عن صراعات الواقع، كما أنهم يتحركون دون أن يهتموا بأمر الكثيرين ممن يحوطونهم، ورغم ذلك لا يمكنني التعميم.

كان صاحب المصنع في الفيلم المبني علي قصة حقيقية، يتحدث باستمرار عن ضعف التأثير، كان يبرر الموقف ويخبر الجميع بأن المصنع لا يسبب تلوثا ملحوظا، رغم أن الضرر كان واضحا والشلل كان منتشرا، لكن نجاحه تسبب في العمي ورغبته في حصد المال والأهمية جعلته كالمسعور فقضي علي حيوات الآخرين من أجل نجاحه الخاص، وهو أمر موجود بكثرة في هذا الزمان، وفي كل زمن فات، نعم، البشر يرغبون في الوصول بأي شكل من الأشكال، ولن أعمم، لكنني أوضح أن الغاية تبرر الوسيلة عند الكثيرين، وقد تقضي الوسيلة علي الكثيرين بينما يصل المرء إلي غايته، وهو ما يعد أمرا محزنا بكل تأكيد، ورغم أن الشخص قد لا يشعر بالآخرين في هذه اللحظات، فإنه قد يشعر بهم حينما تحل لحظات ضعفه، وحينها يثور ضميره ويندب حظه ويسب نفسه، نعم، يلعنها، هل تعلم أن الكثيرين ممن استيقظت ضمائرهم، لم يجدوا أنفسهم سوي في بيئة مشمولة باللعنات؟ اللعنات التي تطلقها النفس تجاه كيانها، اللعنات التي تصدر من الكيان نفسه، اللعنات التي تنتج عندما تحل لحظات الضعف ويثور الضمير؟

وبهذه الصورة، تتحول اللذة إلي ألم، يتحول النجاح إلي فشل، يتحول الكفاح الزائف إلي حقيقة قاسية، لكنها حقيقة ولجها الشخص بنفسه، نعم، تسبب فيها بأفعاله وببرودة قلبه، برودة قلبه التي نشبت

كنتيجة لعدم مبالاته بالآخرين، ولذلك من الضروري للمرء أن يهتم بالآخرين بينما يعبر الطريق، من الضروري للمرء أن يتعاطف، لأن التعاطف جزء رئيسي من أجزاء التطور النفسي السليم، ولا يعد الأمر تسليما للعاطفة لكنه بمثابة التوازن وتحقيق الاستقرار، ذلك الاستقرار الذي يصل بين العاطفة والذهن قدر الإمكان، فلا نبخل بالعاطفة ولا نضيع الفكر الرشيد.

إن الصراع بين العاطفة والفكر بمثابة الصراع الأزلي العميق، وقد أقحمت العاطفة البشر في تصرفات مجنونة على مدار التاريخ، كما أن الكثيرين قد حاولوا عقلنة عواطفهم منذ بدء الخليقة، وعجزوا عن العقلنة باستمرار، لأن العقلنة مضنية مع الوقت، ولو أن هناك غموضا بهذه الحياة، فإنه غموض ناجم عن العاطفة أكثر من كونه ناجما عن الفكر، ولو أن الفكر قد تعمق بشكل مفزع لقتل العاطفة وأدي إلى اختلال الذات، ولذلك يكمن الصراع بأكمله في اتزان العاطفة، لكننا ندرك مع التقدم إلي الأمام حقيقة أن الأمر أشبه بالكنافة، نعم، فالأمر يحتاج إلي مجهود مستمر، والعقل يختل مع الوقت والإجهاد الخلوي لا مهرب منه.

وبالنسبة إلي اللذة، فإنها مخدر شديد، نعم، فاللذة مشكلة في حد ذاتها، لكن مشكلتها لا تظهر في البداية، بمعني أن اللذة تجعل العقل يتحرك في مسار معين دون اهتمام بأي مسار آخر، وعندما تغيب، يهاجم الإنسان بالمسارات الأخرى، كما أن الإنسان قد يشعر بالضيق إذا سيطرت عليه كل المسارات إلا مسار اللذة، وحينها يرغب في اللذة وينسي كل شيء كالمجنون، ولذك من الضروري التروي التام حينما تزورك اللذة، لأنها نبتة طعمة ذات جذور مرة.

ولو لم تدرك ما أقول، فإنك حتما ستدركه حينما تجربه، وقد وصلت إلى قمة اللذة، وحصلت على الألم في المقابل، فلا مهرب ولا مفر، ورغم ذلك تحل الرحمة لتقلل من الوطأة، وبهذه الصورة تجري الأمور في محلها وتتحرك الدواب بصورة مستمرة مكررة.

-١٨-

حان وقت الاستعداد من أجل عمل صحفي جديد، نعم، فمن الضروري أن أستعد من أجل عمل جديد كي أشغل نفسي وأدعم مستقبلي المهني وأرسل ما يجب إرساله إلى الصحيفة التي أعمل بمقرها.

إن العمل متاهة من المتاهات، متاهة يلجأ العقل إليها كي ينشغل عن المتاهات الأخرى، وقد تكون المتاهات الأخرى أكثر إرهاقا، وعلى المرء أن يدرك أن متاهة العمل في وقت ما تتحول إلى ضجيج، لكن ما يجب أن ندركه يتمثل في حقيقة أننا قد خلقنا لنتحرك، وعلينا أن نستمتع بهذه الحركة.

نعم، العمل متاهة، وقد أخبرني رجل في يوم من الأيام بأن العمل لعنتان وعدم العمل لعنة واحدة، لكن العمل يجعل الإنسان يشعر وكأنه يقدم شيئا، وبهذه الصورة تتحرك الحلقة، كما أن العمل درجات وبيئات وأرزاق، وقد يثمر وقد لا يثمر، وهو أمر لا يمكننا التحكم فيه لكننا نخضع إليه، وبهذه الصورة تتحرك الحيوات.

صحيح، أن هناك بعض الاختيارات، لكنها محدودة، كما أنها قد تصبح محل اضطراب مع الوقت، ولذلك على المرء ألا يثق في غروره، وعليه أن يعلم أن الحركة أشبه بالكنافة حتى ولو كان النظام موجودا، وقد وضحت مرارا وتكرارا حقيقة أنني لا أكبر الأمور لكنني أتحدث فيما يخص كل معقول، أما إغماض العينين وعدم التأمل، فإنه أمر لا أعرفه، وسأستهجنه على مدار الطريق، حتى يحل موعد الرحيل.

هل تعلم أن العقل مع الوقت يستقبل أحداث الواقع وصوره كما يستقبل أحداث التلفاز وصوره؟ نعم، فالأمر يتحول إلي حلم غريب، والوعي يدخلنا في متاهات عجيبة، وتشعر وكأن الواقع قد اختلط بالخيال، وقد تشعر بأن الخيال قد تحول إلي واقع، كما أنك قد تري الكثير من مشاهد القتل والعنف البشري في الواقع، وبهذه الصورة تعتاد المنظر، حتي يصبح عنف الأفلام لا يختلف عن عنف الواقع، والأمر نفسه بالنسبة إلي العري، والأمر نفسه بالنسبة إلي كل صور التطرف، وهو ما يجعلنا في حالة من الاستفهام حيال التجربة، وبهذه الصورة يمكننا أن ننظر إلي متاهة العمل علي أنها خليط بين الواقع والخيال، إذا عمدنا إلي نفس المنوال، لكن المحصود يمثل الأساس، والحصاد يتمثل في جني المال والإحساس بالنفس كما تعلمون، لكن الهوس بالمال صار بمثابة الأساس في هذه الأيام.

إنني لا أحصل على الكثير من المال من هذه المؤسسة، لكنني أعمل من أجل إحساسي بنفسي، نفسي المتواضعة، وعلى أن أدرك أن الحركة تمثل أمرا مهما للغاية، حتى ولو كانت غير مثمرة في الكثير من الأحيان، لأننا قد خلقنا كي نتحرك، ورغم ذلك من الضروري أن نرتاح بين الحين والآخر ونستمتع بهدوء الأجواء.

تمثل العمل الجديد في تغطية حدث فني مهم، حدث سيعقد في الShangri-La، وقد تقرر حضور الكثير من الممثلين والممثلات والشخصيات المشهورة، وهو ما يعد سبقا مهما بالنسبة إلي، ولذلك من الضروري أن أنتهز الفرصة وأسرع بالتقديم لحضور الحدث والإعداد من أجل الوصول إلي أفضل صورة ممكنة، وقد اتفقت مع صديق فلبيني علي تجهيز كل ما يمكن تجهيزه وعلي أن يحمل الكاميرا من أجلي، كما أنني قد عرفت أن الكثير من

الفنانين الكبار سيكونون موجودين، وهو ما يمثل أمرا لا يجب أن يفوت بأي شكل من الأشكال.

الجزء الرابع

-١٩-

قبل التوجه إلى الفندق، تناولت الطعام مع صديقي كارلوس بأحد مطاعم الSamgyupsal، كان مطعما مميزا، كان اللحم مدهنا بشكل واضح، كان الدهن في كل مكان، لم أحب التجربة كثيرا، لكنها كانت جميلة في الوقت عينه، هل تعرف تلك المشاعر المختلطة التي تنتابك حينما تتعرض إلى شيء كهذا؟

لم أحب الدهن باللحم البقري لكنني أحببت الفراخ الكورية بالعسل وأحببت الفراخ المشوية، كنت أقوم بمهمة الطبخ بنفسي كما تعلمون، فكل ما عليهم فعله يتمثل في إحضار المواد، أما الزبون، فإنه يستمتع بعملية الإعداد، وهو أمر محبب لدي الآسيويين، كما أن المطاعم الشبيهة بهذا المطعم منتشرة في معظم البلاد الآسيوية، وذوات شعبية وإقبال، كمطعم البقر الرائع الشهير والموجود في الكثير من البلدان.

عصير الأناناس، الشاي باللبن المثلج، الشاي بالفواكه المثلج، الماء، كلها مشروبات يمكنك تناولها ويمكنك التكرار دون حدود، ولكن الثلج خدعة كبيرة كما تعلمون.

كنت أتناول اللحم دون حدود، وكان كارلوس يفعل المثل، وقد تعرفت إليه واقتربت منه وأنصت إلي قصته وإلي صراعه مع زوجته، وقد أخبرني بأنه أحب فتاة في الماضي عندما كان مراهقا، لكنها تخلت عنه من أجل شاب ثري، وقد أنصت إلي قصة مراهقته وحدثني عن الكثير من الأمور، كانت قصته غريبة، لكنها مكررة، نعم، قصص البشر مكررة مع اختلاف الألوان، نعم، الكل يحب يكره

يضحك يبكي يأكل يشرب يعمل يرفه، وهكذا، إنها نفس الحلقة المكررة، وقد استسلمنا جميعا لهذه الحلقة ونسينا ضرورة أن نفهم الطريق والمسلك، نعم، فالروحانية تساعدنا علي الوصول إلي أماكن لا يمكننا الوصول إليها إذا انغمسنا في هذه الحلقة المفرغة دون تأمل، وهو ما يدركه كل إنسان مع التقدم إلي الأمام.

إن الحلقة مكررة وتتكرر كل عقد بواسطة عناصر مختلفة، ألوان مختلفة، لا أكثر ولا أقل، لكنها تقدم نفس السلوكيات لكن بألوان مختلفة، نعم، ألوان مختلفة تخفي سلوكيات مكررة، ورغم ذلك، من الضروري أن نعيشها وأن نشكر الإله، لكننا في نفس الوقت مطالبون بأن نفهم الحلقة وأن نفهم المسار قدر الإمكان، وكل إنسان يدرك البيئة وفقا لحجم وعيه ودرجة ذكائه، ومع تراكم الخبرات ومشاركتها نصبح أكثر قدرة على فهم التجربة، التجربة التي نكتشف في النهاية أننا لم نفهم أي شيء منها في حقيقة الأمر، وهو ما يعد أمرا محزنا، لكنه مثير في الوقت عينه.

كان كارلوس يتحدث دون توقف، كان يتحدث عن الكثير من الأمور التي تخص حياته، وقد تنقل بين الكلمات في انسيابية يحسد عليها، وقد رأيت الشغف والحماسة في عينيه، شغف الحياة، حماسة التحرك، الرغبة في إرضاء الفضول والمعرفة، ولكن كثيرا ما نظهر حماسة لا تليق بنا ولا تناسب مسارنا ولا تحقق غاياتنا.

وقد حدثني مجددا عن الفتاة التي أحبها في الماضي، وقد أخبرني بأنها كانت ذات فخذين عريضتين، أما زوجته، فإنها رفيعة للغاية، رفيعة بشكل مخيف، فأخبرته بأننا نحب الروح قبل الجسد، نحب الروح لأن الأجساد فانية، أما الأرواح، فإنها ستذهب إلى عالم آخر

وستتقابل هناك، و لا يمكنني أن أنكر حقيقة أن الشكل يؤثر في النفس والهيئات تؤثر في المزاج، لكن الروح هي الأساس، كما أن تآلف الأرواح بمثابة الجمال، وهو ما يدركه كل إنسان حكيم مع التقدم إلى الأمام.

لا يمكنني أن أنكر تأثير كوليدج وتلاعبه بالعقول، لا يمكنني أن أنكر علم الجماليات واختلاف درجات الجمال، لا يمكنني أن أنكر أن الألوان العديدة قد تقدم تأثيرات كثيرة، لكن من الضروري للمرء أن يدرك أن التأثر التام بمثابة الوهم والخيال، لأننا بهذه الصورة نصبح ضعفاء يسهل التأثير فينا، وقد نعجز عن التحكم في أنفسنا في الكثير من الأحيان.

إن من يسيطر على نفسه لأطول فترة ممكنة، بمثابة الرجل الشجاع الذي من الضروري أن نصفق من أجله، ليس لأنه قد قدم شيئا فريدا، لكن لأنه قد نجح في كبح جماح النفس والوصول إلى حالة من الاستقرار والسيطرة بشكل من الأشكال.

ولا يمكنني أن أنكر التأثر بالجمال، لكن التكيف يحد من الاستمتاع بالجمال لفترات طويلة، وبهذه الصورة يسيطر الجمال علي التجربة لفترات متقطعة، لكنه لا يقدم ثباتا دائما بأي شكل من الأشكال، وهو ما يدركه كل إنسان مع التقدم إلى الأمام.

جلسنا نتحدث عن الكثير من الأمور بلا هوادة، وقد قمنا بتغطية الحدث بشكل رائع بعد ذلك، وقد كانت التغطية مميزة للغاية، كانت خلابة مثمرة قيمة ذات أبعاد عديدة، وقد وثقنا الحدث بالصور

والفيديو والكلمات وغيرها من الوسائل الإعلامية التي مكنتنا من التقرير والوصول إلى حالة كاملة من التوثيق والأرشفة.

كان كارلوس يحب الكتابة وقد قدم لي نصا قد كتبه مؤخرا، قدمه إلى بينما كنا نأكل الطعام بمطعم Mang Inasal، وقد كان يتحدث عن الكثير من الأمور الفلسفية الخلابة. وقد جاءت المعاني الخاصة بالكلمات على هذه الشاكلة.

في البداية، من الضروري أن أتحدث عن الجانب الظاهري بصورة مفصلة ضمن إطار يسعي نحو البلورة وخلق الإشكاليات التي من الممكن أن تفيد بشكل ما، إلا أن عملية البلورة في حد ذاتها قد تجد الكثير من الصعوبات والنقاط التي قد تمثل عائقا بالنسبة إلى التشكل والتكون.

إن الرؤية الظاهرية تقتضي شمول العناصر الجادة التي تسعي نحو تشكيل عالمنا الذي نحيا بداخله، ورغم ذلك من الممكن أن يمثل السياق ضربا من الجنون حينما نتطرق إلى النقاط المعقدة ونتبع هذا التطرق بالنقاط البسيطة أو المبسطة.

من البساطة ينشب التعقيد، فمن الممكن أن يسير الإنسان ضمن سياقات بسيطة عديدة، إلا أن الكثرة في حد ذاتها، قد تخلق نوعا من التعقيد والتخبط، وهو ما تثبته التجربة البشرية بشكل متكرر.

دفع ضريبة التمرد أمر واضح، ورحمة الإله أمر شامل، لكن النقطة المحورية تخص التعقيدات التي ولجها العقل كنتيجة للتمرد، وهو

تمرد متصل بنقاط عديدة، نقاط تظهر بصورة مبسطة أحيانا وبصورة معقدة أحيانا أخري.

إن الشكل الظاهري يختلف بقوة عن البواطن، ورغم تأثير البواطن وقوتها، إلا أن التجربة تأخذ سياقا ظاهريا ضمن إطار تشمله البيئة وتحركه الكثير من النقاط.

لقد وضحت في أكثر من مرة، أن الإنسان متصل بالبيئة وحدود الوعي ودرجة التمرد والطفرة التي قد تشمله، وهو ما يمثل أمرا محوريا فيما يخص الكيان البشري وما يتعلق به من تشكل وتكون.

إن الظاهرية المتعلقة بالشخصية، لا تمثل سوي نتاج دواخل مضطربة أحيانا ومستقرة أحيانا أخري، وقد وضحت في أكثر من مرة حقيقة أن الرغبات الطارئة والغرائز العميقة تحرك البشر بشكل لا يوصف، بشكل قد يجعل من الفكر ضربا من المعرفة المؤقتة أو الموقوفة، فيتحرك المرء دون اهتمام بالعواقب أو الأفكار، وهو ما يحفزنا نحو التطرق إلى دور العواطف في هذه الحالة.

فالعواطف سباقة في حالات كثيرة، والكيمياء تسبق كل شيء بطبيعة الحال، و لا يمكنني أن ألغي الدور الفعال للفكر، لأنه بمثابة المميز، حيث أنه يميزنا عن الجانب الحيواني الخالص بكل تأكيد.

الجانب الحيواني الخالص متمثل في الحيوانات بصورة منطقية، إلا أن الجانب الحيواني المتصل بالجانب المعرفي والروحاني موجود

بداخل الإنسان، والتميز الأولي يكون من نصيب الحيوان، والتميز الأكثر تعقيدا يكون من نصيب الشق الثاني المتعلق بالمعرفة والعلم، أما التميز الأهم والأكثر نضجا يكون من نصيب الروحانيات، ورغم صعوبة تحويل الروحانيات إلى واقع كامل يمكن رؤيته بالعين المجردة أو الإحساس به، إلا أن الاقتراب بمثابة النقطة الجوهرية أو السياق المحوري الذي من الضروري انتهاجه بشكل دائم أو السعي نحوه بشكل متكرر محوط بالإصرار.

تشكل العالم الخارجي متصل بالدواخل ضمن إطار أساسي، بمعني أن التجربة داخلية قبل أن تكون خارجية، وهو ما يدفعنا إلى التطرق إلى السياق الداخلي كمحفز يرغب في الترجمة إلي أمر ملموس.

المرئي يلعب دورا محوريا في هذه النقطة، لأنه يرغب في البزوغ كمترجم وكمخلص للمحفز، حيث أن المحفز يولد ضغطا بهدف البزوغ والوصول.

إن غياب القدرة على تحفيز المرئي والوصول به إلى ما يحاكي الداخل بشكل من الأشكال، قد يولد كبتا صريحا، إلا أن هذا الكبت قد يبحث عن مخارج متعددة.

يمثل الماورائي في هذه الحالة مخرجا عظيما وقد تكون هناك مخارج أخري عديدة كالهروب أو التحدث المتعمق أو البحث عن أي ملجأ أو ملاذ مهما كانت الماهية، إلا أن المنظومة المتصلة بالخضوع أو التمرد، تلعب دورا هاما في هذه الحالات.

ومن الضروري أن أشير إلى محورية المنظومة الفكرية أيضا، ولن أتطرق إلى الماورائي بصورة مفصلة إلا في وقت لاحق، لكنني أرغب في التركيز على الصلة الواضحة بين المرئي والماورائي في هذه الحالة.

لن أتعامل مع الماورائي كمهرب صريح في هذا السياق، لكن من الأفضل أن أضعه في محله المهم، وهو ما يمثل الحكمة والاتزان ضمن السياق المتصل بالبعد لا القرب.

فالسياق البعيد يتطلب مخرجا آمنا، وهو مخرج يتشكل مع الوقت، فلا يتكون مرة واحدة، ولا يمكن الوصول إليه في ثوان. إن التجربة بأكملها مبنية على التدرج والتشكل، إلا أن التدرج قد يأخذ سياقا تصاعديا أو تنازليا، وهو ما يؤرق الكينونة بشكل عميق.

المحاكاة بين المرئي والباطن أمر يلاعب الإنسان، إلا أن المحاكاة لا تتم بشكل قريب من تصورات الذهن، وقد يكون هناك تقارب، لكنه تقارب قائم على التكيف والتأقلم، فلا يأخذ من السياق طريقا واضحا يمكن مشابهته بسهولة، لكنه يحاول الترجمة قدر المستطاع.

ضغوطات البواطن متصلة بالتعرض، وهو ما يبرهن على خطورة الافتراضي وقدرته على بث الاضطراب في التجربة، حيث أنه يشحن الذهن بالكثير من النقاط المعقدة ذات الطبيعة الزائفة، إلا أن قدرة الكيان على درء الخيالية وبلوغ الواقعية، قد تخلق نوعا من

الاستقرار، ذلك الاستقرار الذي يغيب عن الكثير من الشخصيات المهووسة أو المضطربة أو الموهومة.

الوهم في حد ذاته قد يتشكل عند الشخصية المنعزلة، وفي الوقت عينه قد يتشكل عند الشخصية المنخرطة، إلا أن العزلة أكثر عرضة، وهو ما أثبتته التجربة النظرية في حقيقة الأمر.

مع المنعزل، يصبح الأمر أكثر تعقيدا، لأنه يصطدم بالواقع ضمن إطار بعيد عن التدرج، ورغم ذلك قد تصيب الصدمة المنخرط أيضا ضمن وتيرة أقل وطأة، إلا أن الكيانين محل صدمة في نهاية المطاف، لأن التجربة تكمن بداخلها نغمة اضطراب واضحة، نغمة قد يمثل العبء الوجودي جزءا رئيسيا منها، ورغم ذلك من الضروري البحث عن الخلاص والرحمة.

إن ترجمة الدواخل بشكل متناسق كامل إلي مرئي واضح، لا تمثل سوي حالة من بلوغ المثالية، وهي مثالية وهمية إن بلغت، إلا إنها محض خيال في حقيقة الأمر، لأن الواقع لا يمكنه أن يضاهي الخيال ضمن السياق المباشر.

تشكل المرئي يمثل أمرا مهما فيما يخص التقليل من اضطراب الدواخل، وفي هذه الحالة أقصد تشكل المرئي بشكل مناسب، شكل لا يشمله الكمال لكن يقترب من المطلوب بصورة ما، حتى ولو كان المطلوب خياليا عند البعض.

أعتقد أن المرئي يمثل الداخل بشكل مباشر في بعض المواقف، وهو ما يظهر على هيئة كلمات تترجم العواطف أو أفكار تخرج مندفعة للرد على قضية مهمة أو كلمات عنيفة.

قد تسبق العواطف الأفكار، وقد تسبق الأفكار العواطف، لكن ما يهم حقا يكمن في قدرة التبادل على فرض الغموض وتحريك الكيان، وهو ما يمثل السياق البشري بشكل عام دون تفصيل يذكر أو يعلن.

المرئي متصل بعملية الترجمة التي تتم، تلك الترجمة التي تمثل الدواخل، إلا أن الترجمة قد تتمثل في تأثير المرئي على الداخل كرد فعل أو كفعل انعكاسي، وحينها تتأصل عملية التشكل وتأخذ منعطفا جديدا متصلا بتشكل الشخصية بكل تأكيد.

الداخل يأخذ سياقا معينا يرغب في الترجمة إلى مرئي بشكل ما، المرئي لا يقدم المطلوب ضمن السياق الدقيق، الانعكاسية في هذه الحالة تجعل الدواخل تتشكل من جديد، وتبدأ في اتخاذ الإجراءات الجديدة، تلك الإجراءات التي تساعدها على الترجمة بشكل أفضل والحصول على نتيجة أحسن، وهو ما يتصل بتقليل التوقع أو رفعه ضمن سياقات قليلة.

المرئي في حد ذاته يفقد بريقه مع الوقت، وهو ما يلعب التكيف دورا فعالا فيما يخصه، لأن التكيف يساعد الدماغ على التسهيل والتحقيق دون مجهود كبير، ومع مرور الزمان، يتعجب الذهن من كل ما يحوطه، ويري الكبير صغيرا، وحينها تنكشف الحقيقة.

إن حقيقة المرئي مكشوفة منذ البداية عند الكثيرين، لكنها تحتاج إلى أن تختبر وتري بالعين المجردة وتحس بالكيان الشامل، ولهذا من الضروري أن يخوض الإنسان التجربة بنفسه، حتى ولو كانت التجارب مشاركة بين الجميع ومحل حديث، ولا يعد الأمر اختيارا لكنه بمثابة الإجبار بكل تأكيد.

إن الإجبار متصل بالكيان منذ البداية، إلا أن الاختيار يأخذ مساحة بشكل من الأشكال، وهي مساحة لا يمكن أن نلمسها، لكن من الممكن أن نعيشها دون أن نشعر بها ودون أن يظهر انعكاسها بشكل دائم.

الظروف تؤثر في المرئي بقوة، فمن الممكن أن أختزل الظروف إلى المرئي في معظم الحالات، وظروف البيئة قادرة على تحريك الكيان ضمن إطار يصعب مغادرته، ورغم ذلك لا يرغب الكيان في مغادرة البيئة إلا في حالات محددة، خاصة عندما يعجز عن الوصول إلى مرئي معين.

إن العالم الافتراضي قد يؤثر على الوعي بشدة، وفي هذه الحالة تنتج الطفرات عند توافر الإمكانيات، بمعني أن الافتراضية قد تخلق حالة من عدم الرضا حيال المرئي المتوافر، فيسعي العقل نحو تغيير المرئي بشكل ما، وإن فشل في بلوغ مبتغاه، نال منه الإحباط والإرهاق.

في حقيقة الأمر، الطفرة حيال المرئي ليست بالسهولة التي نتخيلها، فمن الممكن أن تستغرق سنوات، ومن الممكن أن يقضي الإنسان عمره دون طفرة، وهو ما يتصل بالإمكانيات والقدر بكل تأكيد.

إن الإنسان يلاعبه الجزء الآخر بشكل دائم، وإن لم ينجح في كبح جماح الرغبات والوصول إلى حالة من الرضا حيال المرئي الذي يخصه، ظل تائها في صحاري الوهم والسراب.

رغبة الوعي في تشكيل مرئي جديد أمر مفهوم، وهو أمر متصل بالآمال البشرية والرغبة في التطوير، لكن المنطقية أمر مطلوب أيضا فيما يخص كل شيء، ولهذا من الضروري أن يكون المرئي المتخيل قريبا من التحقيق وقريبا من المرئي المتاح، وحينها يصبح الارتقاء أمرا ممكنا ومفهوما.

الارتقاء حيال المرئي يتطلب تغيير الظروف، وتغيير الظروف أمر لا يتصل بالمجهود الذاتي فحسب، لكنه يقترن بالكثير من العوامل، تلك العوامل التي تمثل خصوبة البيئة أهمها.

السياق الذي يسلكه المرئي يتخذ طريقا وقتيا يخص الحالة الراهنة وطريقا ذهنيا يرغب في البزوغ على المدي البعيد، ولكن من الضروري أن أوضح حقيقة أن ما يحدث لا يمثل أمرا جذريا عند سيادة التقدم فيما يخص العنصر الزمني، حيث أن التكيف يقلل من التأثير، وبنقص التأثير الخاص بالحس، تصبح التغييرات أقل وقعا مقارنة بما سبق.

إن المرئي متصل بالسيكولوجية الداخلية، وهي سيكولوجية تلعب البيئة والظروف أمرا محوريا فيما يخص تشكلها، إلا أن المجهود المتعلق ببلوغ الطفرة يتوطد مع التقدم إلى الأمام، لكنه توطد

متصل بعوامل كثيرة تمثل الشخصية والإمكانيات أساسها بكل تأكيد.

تشكل المرئي متصل بالمرء منذ صغره، وهو تشكل يتبلور ضمن سياق طويل، سياق تعمل الكثير من النقاط على تشكيله وبلورته، إلا أن التحول الفجائي يكون متصلا بنقاط جوهرية قادرة على تقديم طفرة بشكل من الأشكال.

لقد درست المرئي بتعمق لما يقرب من عقد، لكنني حاولت الانتقال إلى الدواخل عبر المسيرة، وقد توصلت إلى أن المرئي متصل بالداخل بقوة، لأن الداخل بمثابة الأساس.

إن تأثير الخارجي على الداخلي يختلف بين البشر بشكل واضح، لكن درجة التقارب بين الاختلافات أمر متصل بالكثير من النقاط، كالتنشئة والبيئة.

بمعنى أن الاختلافات موجودة بداخل جميع الأطر، حتى وإن كانت البيئة واحدة ومشتركة، إلا أن التواجد ضمن حيز واحد، قد يقلل من الفروق، فتصبح الاختلافات ذات تقارب بشكل من الأشكال.

التقارب في حد ذاته قد يساعد على تشكل الجماعات، وهو أمر منطقي بكل تأكيد، إلا أن الطفرات قد تعمل على تقسيم الجماعة والوصول بها إلى الانفصال، ذلك الانفصال الذي يطبق على الأفراد.

صفقت من أجله، وأخبرته بأن كلماته تحمل بداخلها طيفا وجوديا مميزا للغاية، وقد ودعته ولم نتقابل بعدها قط بأي شكل من الأشكال.

-٢٠-

عدت إلى شقتي، كان الليل قد جن، شعرت بحالة من الشاعرية، اتصلت بزوجتي وابنتي، تبادلنا الحديث عبر الفيديو شات، كان حديثا دافئا، شعرت بالرغبة في العودة، لكنني صممت على المواصلة والتغطية والاستمرار في جمع الأحداث التي قد تمثل ذخيرة يمكنني أن أستخدمها في المستقبل في الكثير من المجالات، وقد تتعمق الفائدة بشكل كبير في حقيقة الأمر، على كل المستويات، خاصة المستوي المهني والمادي.

جلست أشاهد فيلما يدعي The Housemaid، كان يتحدث عن خادمة تتعرض للإغراء من قبل سيدها الذي يخون زوجته، وتتعقد الأحداث بعدها بشكل غريب.

كان الفيلم ذا نسختين، وقد شاهدت النسخية الفلبينية وأتبعتها بالنسخة الكورية، وقد كانت النسخة الكورية أكثر إتقانا، إلا أن البطلة الفلبينية كانت أكثر جمالا.

أعتقد أنه فيلم ضعيف بكل الأشكال، فنحن الآن أمام عملين ضعيفين، وعلينا أن نختار الأفضل بينهما، وهكذا هو الحال مع الكثير الأمور في حيوات البشر، ورغم ذلك قد يكون الأمر مختلفا عند الكثيرين، فلا يمكنني التعميم ولا يمكنني الوصول إلى حلول واضحة فيما يخص الكثير من الأشياء، لكن المقارنات ضرب من الوهم والخيال، ضرب من إضاعة الخيال دون الاستفادة منه.

أخطر شيء يمكن أن يحدث لنا، يتمثل في إضاعة الخيال، هل تتذكر حجم الخيال الذي أهدرته بينما كنت قلقا حيال أمور لم تحدث قط؟ هل تتذكر حجم الخيال الذي أهدرته بينما كنت تتمنى ما عند غيرك؟ هل تتخيل حجم الخيال الذي أتلفته حينما تمنيت قصورا رغم أنها لا تناسبك؟ هل تتخيل حجم الخيال الذي أضعته حينما وصلت بخيالك إلى قمم لم تكتب لك؟

إن إضاعة الخيال أمر يتعرض إليه كل إنسان، لكن بدرجات، وكلما كان خيالك واسعا، كانت كآبتك أعمق، وعليك أن تعلم أن الخيال الواسع نعمة ونقمة في آن واحد، فبواسطته نكمل الثغرات التي تخص البيئة ونبني عالما شبه متكامل، لكن في الوقت عينه قد يأخذنا إلى طرق لا نحبها وقد يقدم الوعد بخصوص أمور لا تتحقق بأي شكل من الأشكال.

الذكاء والخيال نعمتان كبيرتان، لكن تتخفى الكثير من الصراعات في الخلفية، ولذلك علينا أن ندرك أن لكل شيء ضريبة، نعم، لكل شيء ضريبة لا مناص من دفعها، وهو ما يجب أن ندركه وأن نفهمه لعلنا نتقبل الواقع كما هو دون سذاجة أو حماقة.

تتمثل سذاجة الإنسان في اعتقاده بدوام الأمور وعدم تغيرها، تتمثل أيضا في اعتقاده بالقدرة على رسم السيناريو كما يحب، تتمثل في الوهم والاعتقاد بالمركزية والأساس، رغم أننا كلنا لا نمثل سوى مجموعة من التروس، ولكل منا قصة، وعلينا أن ندرك أن القصة مضطربة مبنية على رسم بياني، وهو ما يجب إدراكه مع الوقت وفي كل وقت.

في الصغر، يتخيل العقل الكثير من الأمور، يتعامل مع العديد من التحديات، يصل إلى نقاط كثيرة وتغيب عنه نقاط لا تحصى، ويحاول أن يرسم صورة للواقع، قبل أن يجابه بالتحديات الحقيقية، وقبل أن يصل إلى صورة جزئية تخفض من توقعاته وتجعله في صدام مباشر مع واقع معين.

الصور التي يكونها العقل تقل مع الوقت، نعم، تقل قدرته على خلق الvisual and mental images، ولذلك يصبح الأمر أكثر ضبابية، وتبدأ الرؤية في الاختلاف بشكل جذري في سن معينة، وهو ما يتعرض إليه كل إنسان، وفي نفس الوقت قد تزداد معدلات الرضا حينما تتم المهمة وقد تقل، وهو أمر يصعب التحكم فيه لكن يمكن الاستعداد من أجل الوصول إليه بصورة معينة، قدر الإمكان.

يفقد العقل الكثير وقد يصغر حجم المخ وتقل القدرات المعرفية، ورغم ذلك هناك أبحاث تري أن القدرات الذهنية قد تستمر لفترة أطول إذا استخدمت باستمرار دون ركود، بمعني أن الأشخاص الأذكياء أو الأكثر استخداما للمهارات العقلية يختبرون التدهور الذهني بصورة متأخرة مقارنة بمن لا يقدمون على تحفيز المهارات والقدرات الذهنية.

التدهور الذهني وضعف القدرات أمر لا مفر منه، ولكن الموضوع يتعلق بتأخيره، كما أن البيئة الصحية لا تتصل بالتحفيز والتدعيم فقط لكنها تعتمد أيضا على الجينات ونوعية الطعام ودرجة التلوث وطبيعة العمل والذكاء وغيرها من العوامل، وهو ما يجعلنا تحت سيطرة بيئة يصعب التحكم فيها بشكل كامل، ولكن الأمر ليس

بجديد، لأنه يخص كل شيء في هذه الحياة، فالإنسان يفعل ما يمكنه فعله، والأمر بأكمله بيد الإله.

الجزء الدماغي الخاص بالfrontal cortex يصغر بصورة ملحوظة مع التقدم في العمر، وفقا لبعض الأبحاث، كما أن القدرات المعرفية تتدهور، ولذلك من الضروري للمرء أن ينتهز الفرصة وأن يستمتع بعمره، لأنه لن يكون في هذا العمر مجددا بأي شكل من الأشكال، ورغم ذلك تجد البشر في الحلقات يدورون وما يظنونه ممتعا لا يكون ممتعا بشكل روحاني وما يحسبونه رائعا لا يكون رائعا بصورة جوهرية، وهكذا تضيع حيوات كل البشر بينما يعبرون الجسر، ولا يبقي سوي الخير الذي أقدموا علي فعله من أجل أنفسهم ومن أجل غيرهم ومن أجل وجودهم.

أفكار كثيرة تجتاح مخيلتي، تأخذني بين اليمين واليسار، أترنح كالمجنون، أحاول الصمود قدر الإمكان، أحاول بلوغ الاستقرار لكن تجربة البشر أشبه بالركض المستمر، أشبه بأمواج البحر، إلا أن عواطفهم تحاول أن تجعلها مستقرا، رغم أن بنيتها لا تمت لهذه الهيئة بأي شكل من الأشكال، والأمر لا يتصل بالبيئة فحسب لكنه يتصل بتركيبة الدماغ الكيميائية أيضا. ولو وجد المرء المستقر، كان مستقرا وهميا حتما، ولو تعلق بشيء بهوسية نال منه، ورغبة الاستقرار تنافي كل الرغبات الأخرى، بمعني أن بلوغه يتطلب إفناء كل الرغبات، لكن الرغبة تحرك الإنسان، ولا مناص منها بكل تأكيد.

المخيلة البشرية لا تهدأ، لكنها تضعف مع الوقت، وقد يؤدي هذا الضعف إلى الهدوء بصورة لاحقة، ولكن هل نرغب في ذلك فعلا؟

هل نرغب في الهدوء مقابل أن تفقد مخيلتنا بريقها؟ أعتقد أن الأمر معقد بصورة يعجز العقل البشري عن التعامل معها بصورة مبسطة، نعم، فعندما تحصل على شيء تفقد آخر في المقابل، وهو أمر لا مناص منه، حتى ولو تعلق بأبسط الأمور، لأنه من المعروف أن لكل شيء دنيوي ضريبة لا مهرب من دفعها، ولو لم تدفع في البداية دفعت في النهاية.

نزلت إلى محافظة ريفية من المحافظات الفلبينية، بدأت في توثيق الكثير، كانت رحلة مميزة للغاية، وصلت إلي بيت من البيوت، اقتربت من الباب بينما كانت الأشجار تحوط المكان بصورة زاهرة واضحة، وكأن الطبيعة قد تحالفت من أجل تقديم مشهد فني جميل وعظيم.

خرجت جدة فلبينية تبلغ من العمر ٧٥ عاما، وجدتها تقول (تعال يا حبيبي)، صدمت، اقتربت، أخبرتني بأنها سعيدة لوجودي، وقد عرفت فيما بعد أنها كانت تعمل بالسعودية في الماضي، وقد حدثتني عن الكثير من الأمور التي تخص الفلكلور والعادات والثقافة هناك، وقد سألتني عن رأيي فيها فوصفتها بالنشيطة فسعدت، وقد وصفتني بالوسيم المتقد، وقد خرجت بناتها ورحبن بي ترحيبا لم أر له مثيلا من قبل.

كانت أرضية المنزل خشبية بشكل مميز، وقد قابلت ابنها الذي رحب بي واتجه للمطبخ وأعد بعض الشاي علي غير العادة، وقد قدم لي زجاجة صودا كبيرة لم أر لها مثيلا في مصر، كما أن الحلويات التي قدمت إلي جانب المشروب لم تكن مألوفة بالنسبة إلي، لكنني شعرت فيها بلمسة الأوبي وأحسست بالتارو في بعضها، ولمست شاعرية بيض البط المملح في أكلة أخري قدمت إلي بصورة لاحقة، وقد شاهدنا فيلما جديدا علي التلفاز لكريستين ريس، وخرجت من أجل جولة في الطبيعة، حيث رافقني الابن وأخذ يشرح لي الكثير من الأمور التي تخص البلد هناك، وقد أحسست بخضرة غير طبيعية في المكان، وكأن الشجر كان يعلن عن اللون الأخضر بصورة

مكثفة، وكأنه كان يصرخ ليحدثنا عن خضرته، وكأنه كان يقول (انظروا إلي خضرتي، انظروا إلي لوني، انظروا إلي جمالي).

كان ينبض باللون الأخضر، كان يشع جمالا وحيوية وروعة، كان بارعا مذهلا بكل ما تحمله الكلمة من معني، ولو أنني لم أكن مشغولا لأفنيت عمري جالسا بين هذه الأشجار متنقلا بين أطياف البهجة التي تخصها محاولا أن أستمتع بأشعة الشمس الذهبية بينما تشق طريقها بين الغابات وتقدم التفاؤل إلينا وتحسنا على التحرك وتبعد عنا الخمول والكسل، وهو ما يرغبه كل حكيم بكل تأكيد.

كان الرجل يحدثني عن عادات البيئة هناك، وكان يتنقل بين الأفكار بسرعة شديدة، كان يتحدث وكأنه شريط مسرع، وكان أنفه كبيرا، وقد سألته عن حياته، فأخبرني بأنه قد تزوج وهو في العشرين من عمره، وقد وضح أن الفلبين تقدس الأسرة، والكثير من الشباب يحبون الخلفة والأبناء، كما أنهم يشترون السيارات الكبيرة من أجل التجمعات العائلية، وقد وضح لي أن الأسرة هي أفضل شيء في هذا العالم، أفضل من الإنجاز الفردي وأفضل من المتع وأفضل من كل أنواع اللذة، لأن دفء الصحبة لا يقارن، لا يقارن، لا يقارن.

أخبرته بأن الأسرة مقدسة عند الكثير من الشعوب، كما أن الكثير من المشاهير يسعون نحو تكوين الأسر في لحظة ما حتى ولو أثر الأمر على المشوار، وهو أمر تم رصده في الكثير من الحالات التي خصت الممثلات بشكل أكبر.

في الحقيقة، لا يوجد ملجأ للإنسان في هذه الدنيا، لكنه إن أقدم على فعل الخير من أجل تعاليم الإله نال بعضا من الراحة، فلو تخلص من اللذات والأنانية وسعي نحو التضحية والبذل، تحققت الكثير من المكاسب من أجله، حتى ولو لم يحسها في البدايات، ومن أكبر المكاسب العمل من أجل أسرة والإحساس بأننا قد قدمنا شيئا وسمحنا للآخر بأن يشاركنا الرزق والنعمة، وهو ما يعطي شعورا داخليا يتفوق على كل لذات العالم.

وافقني الرجل وقد استمر في التحدث دون توقف، وكنت أنصت إليه، وقد انتقل إلى موضوع خص الاقتصاد وحدثني عن حقيقة أن الاقتصاد في تطور لكنه يجابه الكثير من التحديات والصراعات، وقد أخبرني بأن الفساد موجود بشكل كبير، لكنه وضح أن هناك الكثير من المساحات التي من الممكن للمواطن العادي أن يتحرك فيها، وبهذه الصورة يمكن للبسيط أن يعيش دون تعقيدات.

تسمح هذه البلاد للسكان بأن يختلطوا بالطبيعة دون حدود، تسهل لهم إقامة المشاريع الصغيرة، تقدم للبسيط مساحة ليعيش، إلا أن هناك أماكن شديدة الفقر أيضا، فهناك الأغنياء، وهناك الفقراء، وهناك الطبقة المتوسطة، كما هو الحال في كل البلدان، وقد لاحظت أن ناطحات السحاب كثيرة في العاصمة، أما المحافظات، فإن بيوتها قصيرة، وهو أمر معهود في معظم البلدان.

في دولة كاليابان، ستجد بيوت المحافظات قصيرة، أما طوكيو، فإنها تعج بالناطحات، والأمر نفسه بالنسبة إلي مانيلا عندما توضع في مقارنة مع المحافظات، كما أن العاصمة تكون أكثر تحررا، وتكون الحركة أكبر، وهو أمر منطقي لا يحتاج إلي شرح أو

تفصيل، لأن معظم دول العالم تشهد مثل هذه الأمور وتعيش بهذه الكيفية، لكن هناك أساليب حياة أفضل، وهي أساليب لا تتصل بكونك من العالم الأول أو العالم الثالث، لكنها تتصل بطريقتك وطريقة المجتمع وعاداته، ورغم ذلك قد تشارك درجة الرفاهية في عادات تفرض علي الناس بصورة لاحقة، ويصعب التخلص منها فيما بعد.

وعندما نتحدث عن العادات، فإننا نتحدث عن العادات بنوعيها، الجيد والقبيح، وعلى المرء أن يتخلص من العادات القبيحة أو المعقدة أو الضارة، أما العادات الجميلة والأخلاقية والصحية، فإنها محل ترحيب كبير بكل تأكيد.

أخذ الرجل ينصت إلى كلماتي، وقد عاد معي بعد ذلك إلى منزل الجدة، وتناولنا الطعام الذي ضم الأدوبو والبانسيت والتورون والإيمبانادا والتوسينو والبيتزا من إنجيليس والكثير من الخيرات الأخرى، كما أنني قد تناولت خبز هوكايدو في النهاية.

غادرتهم وشكرتهم، ومكثت في أوتيل صغير لفترة قصيرة قبل العودة إلى مانيلا، لكنني قد حصلت على مساج في مركز من المراكز بالمحافظة قبل الرحيل، وقد قدمته فتاة فلبينية جميلة إلي بشكل مميز للغاية، حيث أنها كانت تمرر أصابعها باتجاه ظهري بصورة حساسة للغاية، كما أنها كانت تمسك بيدي كما يفعل العشاق، وكانت تستخدم اليوكالبتوس والزنجبيل والنعناع والكثير من الأعشاب الآرومية، وقد سعدت بالتجربة بشدة، ولا يمكنني أن أنساها لأنها مثلت استرخاء من العيار الثقيل، ورغم ذلك قد تنسي في المستقبل كما سينسي كل شيء، نعم، فالكثير من

الأمور تنسي، والكثير من الأمور تبقي، والأمر يتصل بالذاكرة والقدرة والعاطفة والتأثير، وغيرها من العوامل، ورغم ذلك، فإنني قد رأيت الخرف والفقدان والزهايمر بصورة جلية في رجال وصلوا إلي قمة العجز وفي نساء وصلن إلي الشيخوخة، وهو أمر لا يمكن تجنبه، حيث أن الحقيقة تمثل الأمر الوحيد الذي لا يمكن تجاهله، مهما حاولنا الهروب منه بعواطفنا، ورغم ذلك قد تحن الحقيقة في الكثير من الأحيان، وحينها نجد العواطف بشكل لا يكون في الحسبان، وعندها نصف أنفسنا بالمحظوظين الفائزين بكل تأكيد.

وصلت إلي مانيلا، وقد جلست بالشقة متنقلا بين الأفكار، وقد كانت تلاعبني بلا هوادة، كانت عاصفة استثنائية أطاحت بوجداني ونقلتني إلي بيئة عميقة من الأحاسيس والأشجان، وقد فكرت في قدرة المرء علي المواصلة رغم الصعوبات، وبحثت عن هدف الوجود، فلم أجد سوي العبادة والتطهر والارتقاء، ولو أن السعي قد ذكر، فقد ذكر لأنه جزء من العبادة كما تعلمون، كما أن الوجود لا يعبأ بالمتغيرات، فرغم التعقيدات التي أسبغت لمستها علي الشخصية، يظل الأمر محل سؤال، ومن الممكن للتعقيدات أن تزال في ثانية دون استعداد، وهو ما ينبهنا إلي ضرورة التمهل والفهم قبل الخوض والانغماس.

ولو أنني قد انغمست في الكثير من الأمور بتسرع، فإنني قد فعلت، لأن تجربتي تطلبت ذلك، وهو أمر يشهده كل الأناس، فنظرية الكلام يسهل التعامل معها، أما الأفعال، فإنها محل صعوبة ومجهود وتخصيص وإخلاص، و لا يمكنني أن أعمم، لكن الأفعال أصعب من الكلمات، والإنسان كثيرا ما يتكلم، وقليلا ما يفعل، ولو أن الكلمات أكثر من الأفعال، فإن الأمر يعود إلي حقيقة أن العقل

يطلق الكثير من التخيلات غير مهتم سوي بالتخيل، نعم، غير مهتم سوي بإطلاق التخيلات الكثيرة التي لا تحصي، أما الواقع، فإنه أمر مختلف، ورغم ذلك يتأقلم العقل مع الوقت، وتقل الخيالات، وتصبح الأفعال أمرا ملحوظا، نعم، تصبح الأفعال ظاهرة حتي ولو كانت قليلة، لكنها أصبحت مؤثرة لأن قلة الكلمات سمحت بذلك، وهو ما يؤشر إلي أهمية الصمت في الكثير من الأحيان.

استراحة

تكملة

الجزء الخامس

قمت بالإعداد من أجل حدث جديد، حدث طلب مني تغطيته علي أكمل وجه، وقد تحالفت مع صحفية فلبينية جديدة من أجل العمل، وقد كانت تدعي ماريا.

لقد كلفتني الوكالة بتغطية حدث ضخم يضم ألعاب الدولفين والنسور والحيوانات، وقد توجهت إلى حديقة مانيلا الخاصة بالحيوانات من أجل العمل، وقد كانت الحديقة عظيمة للغاية، كانت تضم إمكانيات هائلة.

البطاريق، النمور، الأسود، النسور، الدولفين، سمكة القرش، الزواحف، الإجوانا، البومة، وغيرها من الكائنات، لكنني رأيت إنسانا يقف بداخل قفص، وقد نالت مني الصدمة، وشعرت بشيء غريب قد تسلل إلى داخلي، وقد اقتربت منه.

وجدت مرشدا يتحدث عن الكائنات، وقد وصف الإنسان الموجود بالقفص بشكل رائع، وصفه بالكائن المعقد، وقد أخبرنا بأنه كان بسيطا في البدايات لكنه تمرد، تمرد ونال منه ما وجب أن ينال منه، وقد كنت أضحك بشدة حتى كدت أن أموت من الضحكات، وقد أخبرتني ماريا بأن هذ الإنسان لا يمثل سوي مجسم لواحد من السكان الأصليين، لكنني قد اعتقدت في البدايات أنه قد مثل إنسانا حقيقيا من حلاوة نحته وروعة بنائه، وبعد أن أخبرتني بالأمر غادرتني الدهشة، وهو ما أدي إلى ضياع الإثارة وقتها.

لكنها قد عادت إلى بعد أن رأيت البطاريق، وقد كانت جميلة مذهلة، كانت تتحرك دون توقف، كانت تضحك وتسخر منا، كانت تلعب وتمرح، ولم تكن تحاول أن تضيع حيواتها في صناعة شيء مصيره الانهيار، لكن أنفسها تختلف عن أنفسنا، وهو أمر لا يمكن تجاهله بأي شكل من الأشكال.

كانت ماريا ترتدي شورتا مميزا للغاية، وقد خبطت ردفها محاولا أن ألاعبها فضحكت، وقد التقطنا سيلفي لنا سويا، وعدنا إلى الشقة، لكنها لم ترغب في الولوج وغادرت، على أن تقابلني مجددا في الغد من أجل عمل آخر.

نزلت إلى الصالة الخاصة بالبناية، أسرعت بالنزول في حقيقة الأمر، وقد أعطيتها الكاميرا التي تخصها، فقد نستها بشكل غريب، وقد أخبرتها بألا تنسى أشياءها مجددا، وقد شكرتني بشدة، شكرتني وأظهرت ابتسامة جميلة، ابتسامة الرقيقات.

-٢٣-

جلست مع ماريا في مطعم جولي بي، وقد أكلنا الفراخ المقلية كالعادة، والتهمنا البطاطس، وشربنا الصودا، وقد انتقل المقعدان إلى كافيه بوز، وأكلنا التشيزكيك بالدولشي دي ليتشي، وشربنا القهوة الفيتنامية، وبعدها جلسنا أمام حمام السباحة الخاص بالبناية التي أقطن فيها.

وقد أحضرنا بعض المشروبات ووضعناها إلى جانبنا، وقد ضمت فيتاميلك بالموز وفيتاميلك بالشوكولا، والروتبيير، والكولا، والماء نوعية Natural Spring، وبعض البولفورون، إلا إننا لم نقترب من أي شيء في حقيقة الأمر.

اكتفينا بالتأمل والتكلم والسباحة، وقد كان البكيني خاصتها كاشفا بشكل مستفز، فأخبرتها عن الكامل تو، فضحكت وشكرتني، وقد تحدثنا عن الكثير من الأمور، إلا أن موضوعا مهما قد تفرد أعلي الطاولة وتسلل بعمق وتوسع مسيطرا.

لقد تحدثنا عن الصراع، عن التسابق، عن المنافسة، وقد أخبرتها بأن الأمريكان يعانون من الهوس بالتنافس الشرس، نعم، أفضل ممثل، أفضل لاعب، أفضل عالم، أفضل كاتب، إلخ، إنها حالة من الهوس غير المفيد، ورغم أن طبيعة الإنسان تقتضي ذلك، لكن المبالغة قد نجمت عن ثقافات حديثة لم تتجاوز عدة قرون.

وضحت لها أن الممثل المعروف مارلون براندو قد انتقد صحفية في يوم من الأيام حينما وصفته بالممثل الأهم، وقد وضح لها أن استخدام الextreme terms، أمر غير مفيد، أمر لا طائل منه.

أخبرتني ماريا بأنها تتفق معه، لأن الأمر لا يستدعي كل هذا الصراع، كما أن مخيلة الإنسان في حد ذاتها تدخل في صراعات بين الحين والآخر، صراعات بعضها كيميائي والبعض الآخر متصل بالخارج، وعندما نضيف المزيد من الصراعات المبنية على التنافس، فإننا بهذه الصورة نظلم أنفسنا ونمقت مخيلتنا ونرهق أذهاننا بأمور غير موجودة في حقيقة الأمر.

ما فائدة أن أقول، لقد فعلت ذلك أكثر من الآخرين، لقد عرفت أكثر من الآخرين، لقد تعلمت بصورة أفضل، لقد وصلت إلى القمة، لقد تعرفت إلي أكبر عدد من الأشخاص، لقد تذوقت كل أنواع الطعام؟

هكذا حدثتها، وقد وضحت لها أن التنافس وإرضاء الغرور أمر مجهد مع الوقت، لأن المتغيرات كثيرة، ولو أننا قد رغبنا في الإرضاء المستمر، فإننا بهذه الصورة نكون قد أقحمنا أنفسنا في متاهات لا حصر لها، وفي نفس الوقت نكون قد أنكرنا المتغيرات المتعددة وتجاهلنا خوار الطاقات ونسينا حقيقة أن الدوام أمر لا يدرك.

انتقل الموضوع بعد ذلك إلى التحدث عن التواضع والتفرقة بين الأمور والاهتمام بمعاملة الجميع بصورة حسنة.

أتذكر مقولة لجنرال في الجيش، مقولة كانت مؤثرة للغاية، حيث أخبرني بأنه من الضروري للمرء أن يفرق بين الأمور، ومن ينجح في ذلك، يعش حياته بشكل أفضل، لأنه يضع الأمور في محلها الصحيح، وقد كان يصمم على التعامل بالصورة العسكرية في ميدان العمل فقط، وكان يتخلص من هذه الهيئة حينما كان يلج ميادين المجتمع المدني، وهو أمر أعجبني كثيرا لأنه مثل الصواب وعبر عن التواضع والاحترام.

هكذا أخبرتها، لكنها سرعان ما وضحت لي أن الأمر يمثل المنطق، وأن الفلبين تعمد إلى هذه الصورة باستمرار، وهو ما يعد أمرا محوريا بالنسبة إلى طريقة التعامل بين المدنيين والعسكريين، ورغم ذلك، قد يخالف القليل القاعدة.

نهضت من مضجعها، وقد قدمت Twerking بالبكيني بصورة مستفزة، فضحكت، وقد أخبرتني بأن الرحيل قد حان، وبأنها ستزورني في الغد من أجل العمل بصورة أفضل.

ارتدت ملبسها، غادرت من الصالة الرئيسية، لم تتجه إلى الفرعية، طلبت Grab، جاءها سريعا، رحلت، جلست أتأمل المشهد العام، صعدت إلى الشقة، نمت نوما عميقا، بينما كان التلفاز ينقل فيلما فلبينيا عن الTransgender.

هل تعلمون أنهم نشيطون للغاية؟ كما أن الTransvestite شديدو النشاط أيضا، فقد رأيت واحدا منهم منذ وقت قصير، وقد كان شعر رأسه مسرحا كامرأة وقد تخلص من شعر رجليه ويديه وكل

منطقة ظاهرة بشكل جلي، وقد كان، أو كانت، أضحك كثيرا، كان يتحرك بصورة نشطة حيث كان يساعد صديقته علي ركوب تاكسي الجراب، وقد عاد إلي الكافيه وجلس مستخدما الماك خاصته.

الأحلام تزورني، العقل ينغمس في النوم، جزيرة النوم، أهلا وسهلا، إنها جزيرة النوم، أهلا بالأحباب والأعزاء.

-٢٤-

في الصباح، حلت ماريا، كانت مستعدة متأهبة نشطة، وقد كنت أنتظرها بصالة البناية، وقد اقتربت وقدمت تحية الصباح، وقد بادلتها التحيات.

اتجهنا إلى الماركت القائم إلى جوار البناية، اشترينا بعض السناكس وبعض المشروبات، وقد اشترينا زجاجة من ماج روت بيير أيضا، وقفزنا بعدها إلى السيارة، وقد انطلقت السيارة مسرعة بواسطة رجل قد قمنا بتأجيره.

كان السائق يتحدث عن الكثير من الأمور دون توقف، كان يتحدث عن الغلاء، وقد تحدث بعدها عن الصراع السياسي الموجود، وتابع الكلمات موضحا أن البلاد قد صارت مكتظة للغاية في الآونة الأخيرة، وأن الحكومة قد دعت الشعب إلى ترشيد استخدام الماء والكهرباء، وقد عمدت إلى توفير الكهرباء في بعض المناطق.

وقد حاولت التحدث معه بالإنجليزية، وقد تحدثت مع ماريا بعدها عن الكثير من الأمور الخاصة بالحدث الذي سنغطيه، وقد كان الحدث فنيا متصلا بحضور الكثير من الفنانين المعروفين في البلاد.

تمثل موقع الحدث في الهيلتون، وقد كان حدثا عظيما للغاية، وقد قمنا بتغطيته علي أكمل وجه، إلا أن هناك شيئا قد حدث ولم يكن في الحسبان.

فقد سقطت ماريا على الأرض سقوطا صعبا، وقد انتشرت الكدمات في ساقها بشكل واضح، وقد انقطعت جونلتها، واتجهت إلى الحمام كي تصلح الأمور، وقد كنت أسندها وأدعمها.

بعدها، اتجهنا إلى مطعم ياباني بالفندق، وتناولنا الطعام بعد شو التيبانياكي، وتناولنا الحلوى الفلبينية من مكان آخر، وقد عدنا إلى البناية، حيث جلسنا نتحدث عن الكثير من الأمور أمام حمام السباحة.

الجزء السادس

جلست أحدثها عن الفرق بين الموضوعية والذاتية، وضحت لها أن الموضوع يمثل موضوعا رئيسيا عندما يتعلق الأمر بالكثير من الدراسات وربما يمثل موضعا رئيسيا من مواضع الدراسة في كلية الإعلام.

تابعت كلماتي موضحا أن النهج السائد لا يمت إلى الاحترافية الإعلامية بأي شكل من الأشكال، فالموضوعية تمثل الأساس، بمعني أن المذيع أو الصحفي مطالب بأن يكون موضوعيا، ورغم ذلك من الممكن التحدث بذاتية في بعض المواضع القليلة.

إلا أن معظم مقدمي المحتوي في هذا العصر يقدمون الموضوعات بصورة تغلب عليها الذاتية، نعم، من الممكن أن أقدم المحتوي الذي يتضمن العاطفة أو الآراء أو المراجعات الخاصة، لكن عندما يتعلق الأمر بموقف واضح وضوح الشمس في كبد السماء، فإنه يصبح من الضروري أن نتحلى بالنظرة الموضوعية، تلك النظرة التي تحاول أن تقدم الحقيقة عبر رصدها لا عبر تزييفها، تزييفها بواسطة العواطف البشرية التي كثيرا ما تخفي الحقائق، لأنها تحاول أن تقدم صورة ترضي العاطفة لكنها لا ترضي الحقيقة ولا تمت إلى الواقع بأي شكل من الأشكال.

استفضت، قدمت المزيد من الكلمات، وضحت لها أن الكثير من البرامج السياسية تعمد إلى كلمات تم إعدادها مسبقا، كما أن الكثير من البرامج الاقتصادية قد تعتمد على شيء مشابه، والأمر يتصل بالكثير من الأمور الأخرى أو المجالات الأخرى التي تحاول

أن تقدم صورة معينة حتى ولو كانت مغايرة، حتى ولو كانت مختلفة تماما عن الواقع الذي نعيشه ونشهده ونتعامل معه.

أخبرتني بأن الإعلام الفلبيني لا يتحلى بالموضوعية في الكثير من المجالات أيضا، وقد تابعت كلماتها موضحة أن الأمر بأكمله يتصل بالرغبة في توثيق الحدث بشكل معين أو إيصال الموضوع بصورة معينة دون الاهتمام بالحقيقة التي نراها بأم أعيننا.

وضحت لها أن تزييف الحقيقة جريمة كبري، وقد تابعت كلماتي وأخبرتها بأن الإنسان الذي يظهر شيئا بصورة معينة رغم الحقيقة المناقضة، منافق من الدرجة الأولي وعليه أن يراجع حساباته ونفسه بشكل دوري وأن يخلصها من الهراء الذي أقحمت فيه بيديه.

أخبرتني بأن الإنسان لا يهتم سوي بلحظته التي يعيشها، يريد أن يأكل ويشرب ويسافر ويحصد الكثير من المال، أما مراجعة النفس، فإنها تتخذ مسارها فيما بعد، وقد تعود أن يتعامل بهذه الصورة منذ القدم، فقد أخذه عقله اللاواعي إلي الكثير من الشرور، وتعود أن يراجع نفسه بعدها بعقله الواعي، ورغم ذلك هناك من لا يراجع نفسه في حقيقة الأمر، إلا أن موقفا حياتيا قد يباغته فجأة ويغمسه في مراجعة من النوع الشرس، ومن الممكن أن يثور الضمير في يوم ما بصورة عنيفة يمكنها أن تطيح بكل شيء، ورغم ذلك من الضروري ألا نعمم، فالمردود لا يأخذ مسارا مع الجميع، لكنه يسلك طريقه مع الأغلبية بكل تأكيد.

أخبرتها بأنني لا أبالي بمكاسب الشخص ولا أهتم بعقابه، فالأمر لا يمثل شأني، لكنني أهتم بتحقيق العدالة والصدق، وبهذه الصورة،

أسلط الضوء على النشاط لا على الأفراد، أما الهيئة المسئولة، فإنها مطالبة بأن تحاسب من يجب محاسبته، ولكن ماذا سنفعل لو كانت الهيئة متورطة في الأمر أيضا؟

استمر الحديث لمدة تجاوزت الساعتين، وقد غادرت بعدها متجهة إلى منزلها، وصعدت إلى شقتي بالدور الأربعين، وقد نمت نوما عميقا ونسيت كل شيء.

-٢٦-

الصحف، هنا، الصحف، تعرض قضية فلسطين بصورة مختلفة، وهو الحال في الكثير من البلدان للأسف الشديد، إنها تظهر أن فلسطين سبب العدوان، بدلا من إظهار الحقيقة وإظهار الظلم الذي تتعرض له فلسطين.

هكذا هو الحال، الحقيقة مستترة في العالم، مستترة وراء حجاب، لا يمكننا أن ننشرها حتى ولو كانت بعض أجزائها ظاهرة لنا، وهو أمر يتصل بصعوبة الحياة وصعوبة إدراك حقيقة أننا لن نغير شيئا.

كنت أحدث الفتاة بهذه الكلمات في بعض الأوقات، وكانت تركز أحيانا وتتجاهل أحيانا أخري، وقد اختفت وانتهي التواصل بيننا فجأة بعد أن انتهينا من الأعمال المطلوبة، وقد قضيت بعدها أسبوعين هناك قبل العودة إلى مصر.

الكثير من المشاهد تجتاح مخيلتي، أتذكر قدومي، أتذكر زيارتي، أتذكر الكثير من اللحظات الخلابة، كما أنني قد حصلت على الكثير من المعلومات والصور والملفات التي يمكنها أن تساعدني في تقديم السبق الصحفي المرغوب.

لقد أحببت الصحافة بشكل دائم، عشقت الإعلام، وجدت شغفي فيه، وقد كنت أشاهد الكثير من الأفلام التي ضمت صحفيين، نعم، شاهدت الكثير من الأفلام التي ضمت صحفيين، ضمت محاولات صحفيين الوصول إلى سبق صحفي بشكل ما، ضمت محاولة

صحفي مجنون توثيق الأحداث، الأحداث التي اهتم الموضوع بها وسلط الضوء عليها.

الصحافة في ركود في هذه الأيام، لكنني أحصل على عمل بين الحين والآخر، وأبني مسيرتي بشكل مستمر، وقد أحببت الصحافة وجرت في دمي، ولا يمكنني أن أنكر حقيقة وجود بعض الأخطاء، لكن معظم أعمالي كانت ذاتية، نعم، اعتمدت على المجهود الفردي الذاتي، ولذلك فقد وصلت إلى تقبل تام، تقبل تام بكل ما تحمله الكلمات من معان.

الTypos مألوفة عند الجميع، حتي عندما يتعلق الأمر بالأعمال الجماعية، وقد اجتاحت الكثير من الأعمال البشرية بشكل كبير، ورغم ذلك، ما يهم في النهاية، يتمثل في الفكرة، الفكرة، حتي ولو كانت مجنونة، نعم، فحركة الأفكار تنشط الأذهان.

إنني أعشق الإعلام، ولو لم أكن كاتبا لوددت أن أكون كاتبا، لأن المجال يعطي صاحبه حرية كبيرة، وهي حرية غائبة في الكثير من المجالات الأخرى، وحتى ولو كان البريق الصحفي قد قل مؤخرا، فإنني ما زلت مستمتعا بما أفعله، نعم، فما يهم، يكمن في الشغف، الشغف تجاه شيء ما.

إنني أحب السينما والكتابة والطعام اللذيذ والمرأة الجميلة والصحبة الطيبة والرفيق المؤنس، لكنني أحب الله والآخرة أكثر من أي شيء، وكنت أستيقظ في كل صباح وكأنه آخر صباح، نعم،

هكذا كانت حياتي باستمرار، وما زلت على هذا النهج، وأتمنى ألا أغادره بأي شكل من الأشكال.

إنني أنظر إلى المرأة بشكل فني، لا أنظر إليها بشكل سيء، حتى ولو ضمت كتاباتي خيالات غريبة أو قبيحة في بعض الأحيان، لكن الأمر يتعلق بالخيال الذكوري، ولو تمكن المرء من تفريغ الخيال بشكل صحي، كان الأمر أفضل وأرقى.

الكتابة مثلت رفيقا بشكل دائم، وكنت أكتب في سرعة تامة، كنت أجري، حتى لا تهرب الأفكار مني، وقد كتبت الكثير من المقالات العشوائية وسجلت العديد من الأفكار الغريبة، وقد دفنت بعضها وعرضت البعض الآخر، لكنني لا أمانع أن أفصح عن كل شيء، في حقيقة الأمر.

تمثل كتاباتي محاكاة لعشوائية الوعي في بعض الأحيان، تحاول أن تلاعب العقل اللاواعي أيضا، فتمسك بخيال الذكر وتصل به إلى القمة، وتمسك بخيال الأنثى وتصل به إلى القمة، وتمسك بالغيرة والصراع والكفاح والفرح والحزن والكثير من المشاعر الأخرى، وتصل بها إلى القمة، والأمر يشمل كل شيء، المجون والتقوى والخير والشر، نعم، إنني أعمد إلى التطرف الكتابي، فأصل بالأفكار إلى القمة ثم أبين أهمية الموازنة، وهو ما عمدت إليه بشكل مستمر في حقيقة الأمر.

لمسة العبث موجودة في كتاباتي بقوة، ولمسة المعنى موجودة أيضا، لكنني كثيرا ما أتحدث عن الجسر، وهو تحدث يتصل بالحقيقة التي لا يمكننا إنكارها، ولا يمكن أن ينكرها سوي مهووس لا

يرغب سوي في المزيد، المزيد من العاطفة الثنائية التي ترهق المرء مع التقدم إلى الأمام، لكنه لا يدرك أنها ثنائية ويصمم على ذلك.

الاستمتاع بالعمل مهم، التطور مهم، ولكن الهوس ملفوظ مكروه منبوذ، الهوس يدمر كل شيء، الهوس يسبب القلق ويقتل النفس الطيبة، ويحول الإنسان إلى كائن متصارع فان في نهاية المطاف.

إن تجربتي الصحفية في مانيلا كانت رائعة للغاية، حققت الكثير من الرغبات، دعمت المجال الصحافي الخاص بي، ساعدتني على رصد ثقافة جديدة، ساعدتني على توفير الكثير من المواد الكتابية التي من الممكن الاستفادة منها لاحقا بأشكال عديدة وصور كثيرة.

مانيلا جميلة، الناس يرحبون بالأجانب، هناك ابتسامة تعلو الوجوه، القاهرة جميلة أيضا، كل مدينة يهيمن عليها جمال من نوع ما، كلها مدن في نهاية المطاف، كلهم بشر في نهاية الطريق، لكن هناك بعض الاختلافات، الجوهرية والتافهة.

لقد غادرت المدينة في الفجر، اتجهت إلى المطار، دفعت وزنا إضافيا، ٥٠٠ تقريبا، كان التعامل رسميا بشدة، لم أفلت، تمكنت من الاستمتاع ببعض المشروبات قبل الرحيل، صعدت إلى متن الطائرة، غادرت في سرعة تامة.

لقد تمكنت من الحصول على كل المعلومات والصور التي رغبت فيها وقد كانت الرحلة مميزة للغاية، نعم، كانت عظيمة، كانت مفعمة بالطبيعة والجمال والإثارة والروعة، ولا يمكنني أن أنساها بكل تأكيد.

شوكولا جويا، شيبس الموز، ماج، القهوة التايلاندية، القهوة الفيتنامية، القهوة البيضاء نوعية أولد تاون، كلها سناكس كانت تصاحبني وكانت تساعدني على تمرير الوقت، وقد شاهدت فيلما فلبينيا ساعدني على المزيد، المزيد من التيه، المزيد من التخدير، المزيد من عدم الإحساس بطول الوقت.

هل تعلمون أن شيبس الموز يصنع من موز السابا؟ هل أخبرتكم بذلك؟ أم لم أخبركم؟

أعتقد أن الوقت قد انتهي، وأن إناء الرحلة قد فرغ وخلا، وأن الصمت قد حل.

إلى اللقاء، إلى اللقاء!

تمت

- العمل من وحي الخيال بشكل تام
- يتضمن العمل مشاهد خيالية كثيرة
- العمل لا يعبر عن رؤية الكاتب الخاصة بالإنسان والحياة
- العمل ضرب من الخيالات ويشمله الأسلوب الخيالي بشكل واضح
- كل ما تم عرضه لا يتصل بالكاتب
- إصدار ٢٠٢٤

أفكار

الكتابة العبثية يمكنها أن تواكب الفكر الديني حينما تبحث عن المعني بمساعدته.

الكتابة العبثية قد تثير مشاعر الكره أو الاستهجان لدي القارئ إذا أخذت على محمل الجد.

البشر كائنات صغيرة تمنح أسماء تعاني المركزية تعيش الوهم، وسط وجود يبتلعها.

اختلاف الثقافات كبير للغاية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالملبس والطعام، إلا أن الإنسان واحد في نهاية المطاف.

لا أحد يستحق الحسد، الكل مثير للشفقة – شوبنهاور

الكتابة منفذ يساعد الكثير من الكتاب على التخلص من السلوكيات الشريرة أو السلبية عبر إسنادها إلى شخصيات خيالية، بدلا من الإقدام عليها في الواقع.

أكثر الكتاب يفتقرون إلى المهارات الاجتماعية، أو يعرفونها دون رغبة في تطبيقها، كما أنهم يبنون عوالمهم الخاصة التي تحاول أن ترصد الواقع أو تلاعب الخيال.

الكتابة رياضة نفسية مفيدة للغاية، إنها قادرة على إنعاش النفس وتخليصها من الكثير من المشاعر والأفكار السلبية.

الكثير من الكتاب يقدمون شخصيات تخالف شخصياتهم، ويحاولون أن يعيشوا الأحداث بذواتهم مع إضافة الكثير من التوابل.

أكثر ما يضايقني، الإنسان الذي ما زال محصورا في بئر المركزية دون تحرر، كما أنني أنصحه بأن يخلص نفسه من عبء الهوس بالنفس، لأنه سيرهقه في المستقبل، ورغم ذلك لكل إنسان مطلق الحرية.

أضحك كثيرا حينما أتأمل أفكار من يحاولون الخروج عن الدين من أجل الحرية، يا للمساكين، إنهم لا يعلمون أن الحرية وهم كبير، حتى ولو تحرك المرء خارج كل المنظومات الممكنة.

يتجاهل الإنسان الراحة النفسية والروحية، ويقدم على أفعال مادية دون تفكير، أفعال قد تضره بشدة بصورة لاحقة، وحينها يكون الضرر داخليا أكثر من كونه خارجيا.

هناك انهيار كبير في المنظومة الأخلاقية على مستوى العالم، والأمر يزداد سوءا.

يتعرض الشرق الأوسط إلى حالة من التحرر لا تناسبه، يتعرض إلى حالة تشبه الحالة التي تعرضت إليها أوروبا منذ عدة عقود، ورغم ذلك قد لا تكون بنفس المستوي، لكنها قريبة بشكل ما.

علي الإنسان أن يتحمل تبعات التلف الذي تسبب فيه، فقد أتلف المنظومة بأفعاله، وتجاهل حقيقة أن المردود سيشمله لا محالة.

لن ترتاح حتى تري أن الموت يمثل المستقبل، لأن عقلك سيستمر في تكوين الخيالات والأفكار الخيالية دون هدوء، ورغم ذلك لا تجعل من ذلك أمرا يعيق نموك، فعليك أن تعمل وأن تتحرك وأن تتطور، لكن دون أن تنسي أن النهاية تتمثل في الرحيل، حتى تستقيم.

الحياة ممتعة أحيانا شاقة أحيانا أخري، والكل يعيش مراحلها بدرجات.

من يريد أن يصل إلى القمم، سيضرب بالكثير من الصواعق، وعندما يصل، سيصبح من الضروري له أن يرحل، لكنه سيكون قد استمتع وقتها بحالة إرضاء تخص الغرور.

لكل إنسان حالة تخصه، فمن يعمل كثيرا، عليه أن يستمتع بعمله، ومن يعمل قليلا، عليه أن يتقبل طبيعته، وفي النهاية، لابد من الموازنة بين العمل والترفيه، وإلا مرضت النفس.

الخوف من الحسد، يجعل الإنسان يري أنه في مكانة أعلي ممن حوله، ولذلك يراود الإحساس بهذه الحالة كل البشر بين الحين والآخر، ليشعروا بأنهم يمتلكون شيئا مهما أو يقدمون على أمور مهمة.

السفر، لا يعد إنجازا، لكنه ترويح عن النفس، لا أكثر ولا أقل، والإقامة في دولة أخري، أمر لا يناسب الجميع، كما أن الغربة لها ضريبة لا مناص من دفعها، والحال نفسه مع المكوث بأرض الوطن.

لكل شيء ميزة وعيب، ولا يوجد كمال في الدنيا، وحياة البشر أشبه بالكنافة، لأن العقل يطلق الكثير من الخيالات غير مهتم بالطاقة والحقيقة والواقع، كما أن الإنسان لا يشبع، إلا القليل.

الكثير من الشباب يصفون أنفسهم بالباحثين ليشعروا بالقيمة، وهو خطأ كبير، لأن البحث العلمي مقتصر على قلة من سكان العالم، قلة توفرت لها المعامل المكلفة وأدوات البحث، كما أننا عندما نصف أنفسنا بالباحثين، نصبح مطالبين بإظهار أبحاثنا وتوضيح أهميتها، وهو ما يضع على عاتقنا حملا كبيرا.

التفاخر أمر مهم ومسموح، لكن الغرور أصل كل الشرور وأمر منبوذ.

الجسد بالنسبة إلى الكثير من الأمم، لا يعد أمرا مهما، وبالنسبة إلى أمم أخري، يعامل بصورة متغايرة مضطربة، وهناك أمم قليلة جدا، تعامله باهتمام وبصورة محافظة دون اضطراب، وأشير هنا إلى إظهاره أو التعبير عنه.

لا يمكننا أن نوقف موجات التعري التي انتشرت في العالم، لكن يمكننا أن نوضح أن الدين يدعو إلى العودة والرجوع والتوبة، وأن الرحمة الإلهية واسعة ويمكنها أن تتقبل البشر، إذا أراد اللّه.

في النصف الأول من حيواتنا، نبني غرورا، لكننا نتخلص منه في النصف الثاني – كارل يونج

الذكر بداخله أنثي، والأنثى بداخلها ذكر، والاثنان ضيفان يحاولان التأقلم قدر الإمكان.

النجاة والعلو من نصيب الأخلاقيين، مهما أظهرت التجربة الظاهرية غير ذلك.

لا يوجد كائنان متشابهان، لكن يوجد كائنان يحاولان التأقلم.

اضطرابك نابع من كثرة رغباتك، التصق برغبة وعش، وابن بيئة عتيقة تسعدك في المستقبل حينما تتذكرها.

طلب الرحمة، العفو، حب الآخرين، مجابهة المشاعر الشريرة، التقليل من عبء النفس بمساعدة الآخرين، كلها طرق للسلام النفسي وتسهيل المرور.

كلما زاد الهوس بالنفس، زاد العبء.

لا تشغل نفسك بتغيير العالم، سيشيب شعرك، ولن يتغير شيء، لأن التجربة بها نغمة استفزاز ليتحرك عقلك، لا أكثر ولا أقل.

الوجود قائم على الصراع، لكننا نحاول أن ننشر السلام.

حياتك أشبه بالكنافة، كن قويا وتأقلم مع التجربة.

العمل مهرب رئيسي ومخرج للطاقات وبيئة مثمرة، لكن لماذا نهرب؟

العقل يبحث عن المشاكل ليحلها، والكيمياء تلعب دورا محوريا، والمشكلة بالنسبة للعقل، لا يختلف شأنها عن شأن الطعام بالنسبة للمعدة.

يزور الانسجام العقل بين الحين والآخر، وحينها من الضروري أن نمسك به لأطول فترة ممكنة، عبر التركيز على اللحظة.

الصور وسيلة لتسجيل اللحظة، لكنها تعبر عن الخوف من مرورها وعدم تكرارها، والخوف من مرور الزمان بشكل عام، وكأنها محاولة للتثبيت والإحساس قدر الإمكان.

من يتحدث كثيرا، يفهم بصورة خاطئة في الكثير من الأحيان.

الفلسفة لذة غير عادية، خاصة حينما ترتكز على الدين.

التكلم يمثل متعة عند الكثيرين، لكنه لا يقدم المتعة نفسها إلى بعض الناس، وعلينا أن نتقبلهم وأن نتقبل طبيعتهم، كما أنهم ليسوا باستثنائيين، لكنهم أصحاب طبيعة معينة، لا أكثر و لا أقل،

يجيد الكثيرون التحدث في الدين، لكنهم يتجاهلون قواعده التي تخص التعامل مع النساء، ويتجاهلون الشدة التي تخص الأمر، بدافع

غرائزي. كما أن الخطيئة ظاهرة بشدة، عندما نتحدث عن هذا الإطار.

العمل معركة، وعدم العمل معركة، الزواج معركة، وعدم الزواج معركة، العمل ممتع، وعدم العمل ممتع، الزواج ممتع، وعدم الزواج ممتع، انظر إلى الأمر كما تحب، فالأمور تتغير وتأخذ شكل المنحني، و لا يوجد شيء ثابت.

النصف الثاني من حياتك سيطالبك بالتضحية، وستقل اللذة لأن المخ قد عمد إلى التكيف.

المشكلة كلها تكمن في المركزية التي زرعت بداخلك، تخلص منها، وفي الوقت عينه ابن كينونتك.

سيترجم عقلك مخاوفك إلى أناس تراهم بعينيك، وهو هم ووهم بكل تأكيد، إلا في بعض الحالات.

عندما تعتاد رؤية مظاهر التعري، سيصبح الأمر غير جدير بالاهتمام.

غض البصر وتجنب الخطايا، معركة، وفي الكثير من الحالات يكون الأمر متصلا بعواطفك المشتتة، لا أكثر و لا أقل، فبدلا من البحث عن الصحبة تبحث عن الشهوة، فاحذر.

اهتمامي بالجنسانية وخطيئة الإنسان، ناجم عن اعتقادي بأن الأمر يمثل بداية التعدي، وبعد ذلك يتبع الشريط، الفساد السرقة النهب القتل الهوس الغرور الغيرة الكره التباغض الصراع، إلخ، ورغم ذلك من الضروري ألا نعمم.

من يحصل على اللذة بعمق، عليه أن يستعد من أجل الألم بعمق – نتشه

للعالم الأول مميزات وعيوب، وللعالم الثالث مميزات وعيوب، اختر ما يناسبك.

الشهرة من نصيب المهرجين.

يصنف علم النفس الديكتاتور على أنه مريض نفسي، في الكثير من الحالات، ومن الضروري معالجته.

السينما مفعمة بالتعري، ولو اعتاد الشباب المشاهدة، فإن التعري الشديد سيصبح أمرا عاديا جدا في الواقع.

العقل يتكيف ويعتاد الأمور ليسهل من المرور، وهو أمر متصل بالكيمياء أيضا.

لا توجد ضمانات حيال أي شيء، لكن من الضروري أن نتقرب إلى الإله باستمرار، كي نشعر بالأمان.

علينا أن نحذر من انخفاض القدرات العقلية، لأن المخ يفقد الكثير من الخلايا مع الوقت، ولذلك من الضروري أن ننشطه بالعمل والقراءة والحركة، ورغم ذلك لا يوجد مهرب، فالأمر يتعلق بالإطالة، لا أكثر ولا أقل.

لا يوجد جمهور يراقبك، إنها خيالات، ومن يصفقون لا يمكثون.

الغرور الجنسي الذكوري مثير للسخرية، ومن الممكن أن نبني الكثير من القصص الروائية بالاعتماد عليه كمحور.

المرأة الحديثة تحاول أن تعوض المرأة القديمة عما فاتها من عنفوان.

هناك رجل تقليدي روتيني يجلس وراء شاشة الكمبيوتر ويكتب الكثير من العبارات المجنونة، وأنت تعرفه جيدا.

الكتابة مهدئ من العيار الثقيل.

العواطف تتغير، ومن الممكن أن تتغير تماما خلال لحظات.

ستسخر في الصباح من صراعك الخاص بالبارحة.

عندما تجد فتاة مناسبة، اتخذها زوجة واستعد للمعركة السماوية، والله خير الرازقين، فلا توجد ضمانات حيال منحني حياتك حتى ولو كان معك الكثير من الملايين، لأن الأمر لا يتعلق بالمال فقط.

لقد رأيت أناسا دمرت حيواتهم تماما، رغم امتلاكهم الكثير من المال.

كل باب يخفي وراءه الكثير من القصص، فالكل يتزين من أجل الصورة.

أدعوك إلى التوكل علي الله، وألا تفكر في الكثير من الاختيارات، وأن تدرك أن الوصول بصورة طيبة أفضل من كل الطرق الملتوية، لأن الطريق الملتوي نهايته الهلاك، الهلاك النفسي، وهو أسوأ أنواع الهلاك.

طريق كل إنسان مختلف عن طرق الآخرين، فلا تنظر إلى طريق أحد، وركز في طريقك.

دمرت الشهوة الجنسية صورة الكثيرين أمام أنفسهم، وقدٍ أدركوا ذلك لاحقا، ورغم ذلك هناك تقلب في الرؤية والمشاعر والأفكار.

القليل من الذكور ينظرون إلى المرأة بصورة فنية.

الرضا مفتاح النجاة.

لا يمكن للمهووس أن يرضي بأي شيء.

العلم يحافظ على العقول لأطول فترة ممكنة حتى ولو أجهدها.

دار عرفان للنشر

فجر مانيلا



الكاتب والمؤلف: معتز عرفان

عضو لجنة الإعلام ومنتج الميديا ب
GSSP & GPTS

مترجم أربعة أجزاء من سلسلة كوارث كبري
وأفلام أخري علي قناة الوثائقية

مؤلف كتاب الإيروسية والثاناتوسية وأعمال أخري

مؤلف رواية السيرك وأعمال أخري

بكالوريوس الإعلام .. ويدرس الماجستير ﴿DigitalMedia﴾
جامعة الدول العربية .. كلية الإعلام .. AAST
جامعة أوتونوما ببرشلونة UAB

دار عرفان للنشر